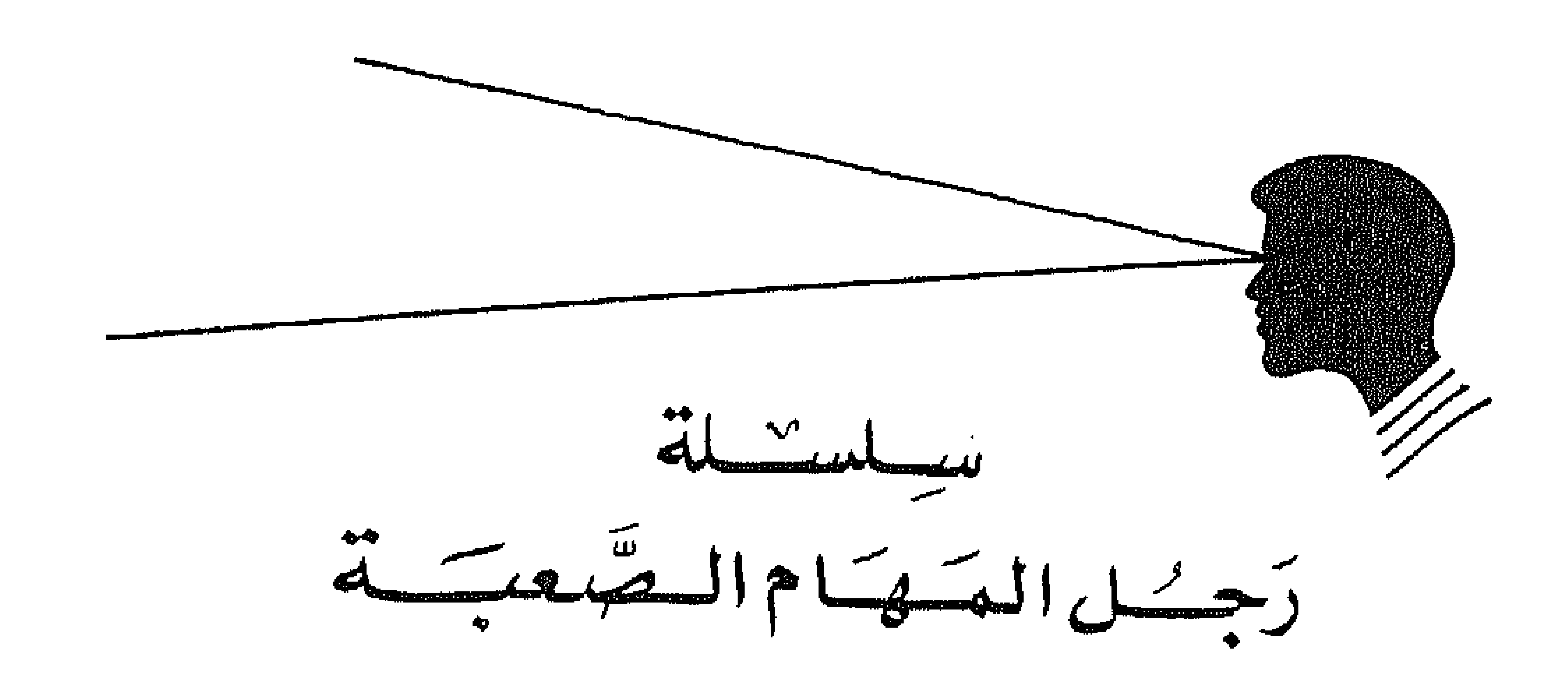

١٩
سلسلة رجل المهام الصعبة
صحراء الجحيم

# صحراء الجحيم



سلسلة

رجل المهام الصعبة

المغامرة التاسعة عشرة

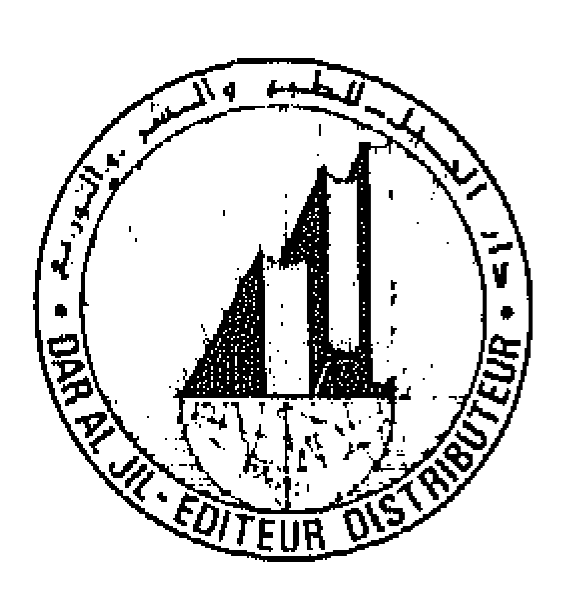
# صحراء الجحيم

تأليف : مجدي صابر

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩٣


دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقياً : دار جيلاب - تلكس : ٤٢٦٤١ دار جيل

رجل المهام الصعبة:

إنها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم « ماجد شريف ».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

وإذا كان « جيمس بوند » هو أسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن « ماجد شريف » هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير « ماجد شريف ».. ولم يحدث أن خيّب « ماجد » أمل رؤسائه فيه أبداً..

# رجل.. خطر جداً

لم يتح لماجد أن يصل إلى « سان فرانسيسكو » ليلا ليتحقق من أن مشهد تلك المدينة في المساء فوق الخليج، يبدو ساحرا فاتنا كما لو أن عملاقا تشع ذرات جسده بكرات من الضوء ويمتد بمحاذاة شاطئ الخليج على مساحة تزيد عن الستين كيلومترا..

ولكن المدينة بدت مع ذلك فاتنة رائعة نهارا من نافذة الطائرة التي حلقت فوق تلالها التي تربو على الأربعين، فبدت « سان فرانسيسكو » تحتها كما لو كانت مدينة تستلقي فوق التلال في مشهد ساحر.

وأخيرا هبطت الطائرة واستقرت فوق ممرها العريض.. وأنهى ماجد إجراءاته الجمركية سريعا وهو يحمل حقيبة وحيدة مكتظة بالملابس.. وغادر المطار إلى بواباته الخارجية

عندما هرعت إليه حسناء فاتنة ذات بشرة في لون الخوخ الناضج وشعر ذهبي وقوام فاتن.. وهتفت لاهثة : مستر ماجد شريف ؟.

صفر ماجد بشفتيه إعجابا وهو يتأمل الحسناء الذهبية الشعر ويشتم رائحة عطرها الفاتن الذي يدير الرأس، ثم قال لها : لم أكن أظن أنني شهير في تلك البلاد إلى هذا الحد، حتى أن حسناواتها يعرفن من أكون وينتظرنني في استقبال حار.

قالت الحسناء في شبه اعتذار : إنني مديرة أعمال البارون « جاكسون »، وقد أتيت لاصطحابك إلى قصره الفخم في ميدان « جيراديللي » في قلب المدينة.

ابتسم ماجد وهو لا يزال يتأمل الحسناء وقال : إن رجال الأعمال في هذه البلاد يحسنون انتقاء مديري أعمالهم.

وضاقت عيناه وهو يضيف : ولكن الاتصالات الهاتفية بيني وبين البارون لم يكن فيها ما يفيد أن شخصا ما سينتظرني لإيصالي إلى قصره ؟.

قالت الحسناء وهي تشير لماجد نحو سيارة ليموزين فاخرة : لقد تقرر ذلك في اللحظة الأخيرة.. وها هي سيارة البارون ذاتها ستقلنا إلى قصره.

اقترب ماجد من السيارة التي كانت تبرق بلون أصفر زاهٍ وقال : إنها تبدو كما لو كانت قد طليت بماء الذهب.

قالت الحسناء كأنها تتحدث عن شيء تافه : بل إن هيكلها من الذهب عيار « ١٤ ».. ولا يوجد منها غير ثلاث سيارات في العالم كله !.

بانت الدهشة على وجه ماجد وقال : ولكن ألا يخشى البارون أن يحاول شخص ما من الأوغاد الذين تمتلئ بهم هذه البلاد، سرقة مثل تلك السيارة أو اختطافها تحت تهديد السلاح ؟.

تلاعبت ابتسامة واثقة على شفتي الحسناء وهي تجيب : إن كل أوغاد هذه المدينة يعرفون من هو البارون جيدا.. ومن ثم لا تواتيهم الجرأة على اعتراض طريق سيارته.

وأضافت في لهجة خاصة : إلا اذا كانوا قد فقدوا عقولهم.. أو يرغبون في فقد رؤوسهم !.

صفر ماجد بشفتيه إعجابا وهو يقول : رائع.. لطالما تمنيت أن تكون لدى مديرة أعمال لها مثل تلك الثقة.

تأملت الحسناء حقيبة ماجد الوحيدة وسألته مندهشة : ألم تأت بحقائب أخرى معك ؟.

فأجابها باسما : إنني أؤمن أن للسفر سبع فوائد.. ولكن ليس منها بالتأكيد حمل الحقائب الثقيلة العديدة !.

واستقر ماجد بداخل السيارة الفاخرة الوثيرة التي كان ثمنها لا يقل عن مليوني دولار، على حين أخذت الحسناء الفاتنة مكانها إلى عجلة القيادة ووضعت حقيبتها الصغيرة بجوارها، وقالت قبل أن يبادرها ماجد بالسؤال : لم يكن الوقت يتسع لاستدعاء السائق الخاص للبارون، فتوليت عنه هذه المهمة.

هز ماجد رأسه في صمت.. وراقب الطريق الذي راحت السيارة الفاخرة تشقه بالقرب من شاطئ الخليج المتعرج صعودا وهبوطا.. وقد ظهر « ترام » المدينة الشهير الذي كان إحدى علاماتها المميزة، وهو يصلصل بأجراسه وقد اكتظت عرباته الخشبية بالركاب.

وعبرت السيارة جسر البوابة الذهبية، الذي كان عبارة عن كوبرى هائل من الصلب معلق فوق سطح الخليج تسده أعمدة وقضبان من الفولاذ، وتعبره آلاف السيارات ما بين ضفتي الخليج، وقد ألقى غروب قرص الشمس فوق التلال البعيدة وسطح الماء بألوان فاتنة زادت المكان سحرا وروعة.

والتفت ماجد للحسناء متسائلا : هل اكتمل وصول الضيوف لحفل البارون الليلة ؟.

أجابته الحسناء بهزة يسيرة من رأسها، فتناثر شعرها الذهبي فوق وجهها الفاتن، وتأملها ماجد لحظة ثم قال لها باسما : إنني لم أعرف اسمك حتى الآن ؟.

فأجابته الحسناء ونظرة غاضبة تتلاعب فوق شفتيها قائلة : إن اسمي هو « يولا ».

شرد ماجد لحظة وهو يراقب السيارة المارة، والليموزين تأخذ طريقها إلى نهاية جسر البوابة الذهبية، ثم التفت إلى يولا قائلا : إن مستر « جاكسون » أمريكي الجنسية كما أعرف فكيف حصل على لقب بارون الذي لا تتوارثه

إلا بعض العائلات النبيلة في أوروبا ؟.

أجابته يولا في اقتضاب : لقد تزوج مستر جاكسون من بارونة فانتقل إليه اللقب أيضا..

وأضافت في لهجة خاصة : وانتقلت إليه أيضا ثروة زوجته المكونة من عشرات من آبار البترول والتي يصل ثمنها إلى مئات الملايين من الدولارات.

هتف ماجد : رائع.. لا بد أن البارونة الراحلة كانت راضية تمام الرضى عن زوجها الأمريكي الوسيم لتمنحه لقبها وثروتها.

تأملت « يولا » ماجد لحظة قبل أن تقول : نسيت أن أخبرك أن تلك البارونة كان عمرها ثمانين عاما عندما تزوجها مستر « جاكسون ».. وكانت بالكاد ترى وتسمع وتتكلم !.

تلاعبت ابتسامة خفيفة على شفتي ماجد وقال ليولا : يبدو أنك غير راضية عن أعمال سيدك.. بالرغم من أنك تنفذين كل أوامره في ثقة.

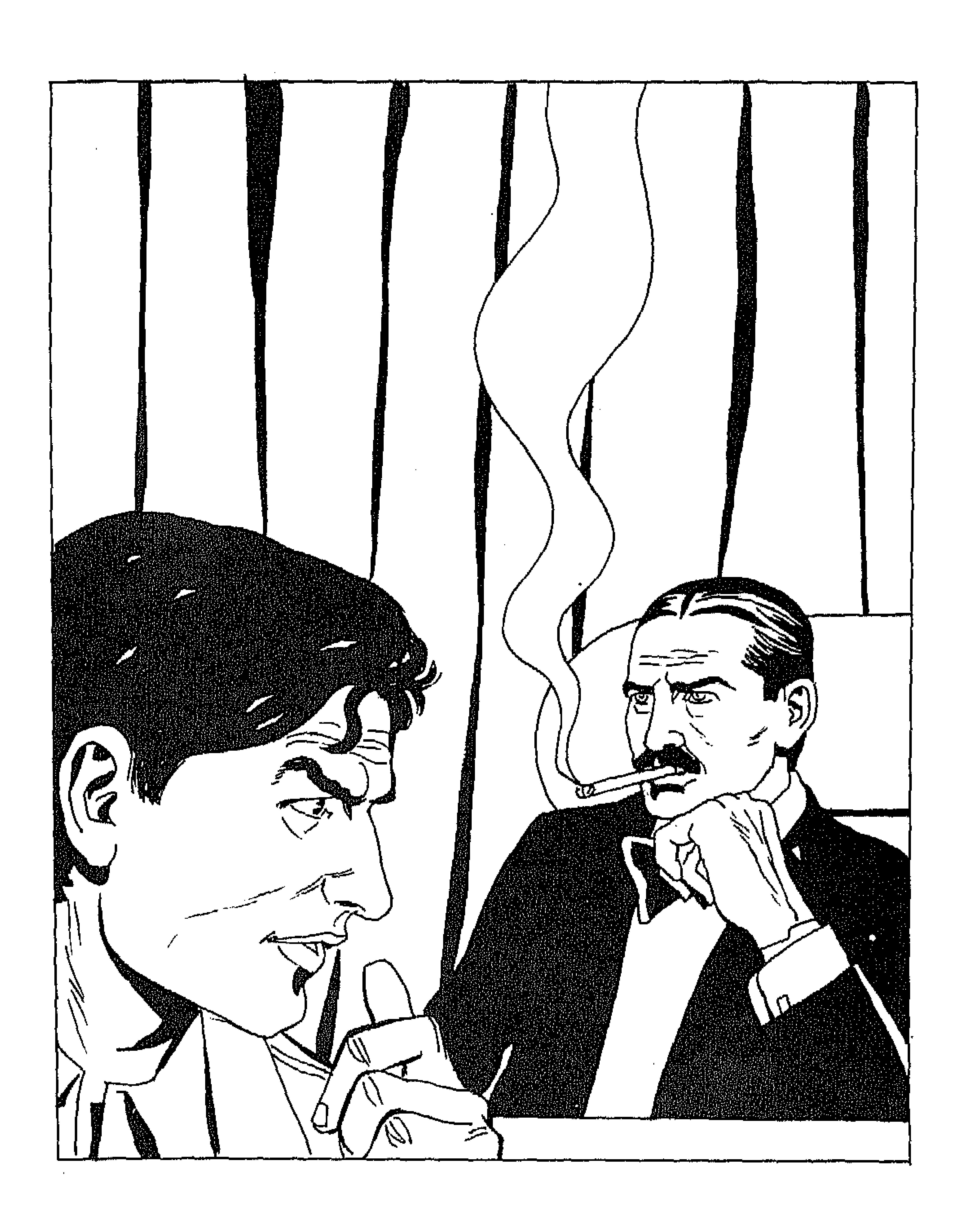
ولكن يولا لم تنطق بشيء وظل وجهها على جموده والسيارة تشق طريقها بكل سرعتها داخل طرقات وشوارع

« سان فرانسيسكو ».. وتساءل ماجد : هل تظنين أن البارون سيفوز في انتخابات مجلس الشيوخ عن ولايته ؟.

أجابته يولا بتلك النظرة القاسية : لم يحدث أن البارون أراد الحصول على شيء، وفشل في الحصول عليه.

كان في لهجة مديرة الأعمال الحسناء ما يوحي بالثقة البالغة وقوة المال، فلم ينطق ماجد بشيء.. وغرق في مقعده وأفكاره.. وعاودته أحداث قريبة مر عليها ما لا يزيد عن بضعة أيام قليلة.. كانت البداية باستدعاء عاجل من السيد ( م )، الذي أطلعه على صورة ملونة لرجل أمريكي الملامح شديد الأناقة بشعر أشقر كثيف ولا يزيد عمره عن الخمسين عاما.. فتأمل ماجد الصورة ثم التفت لرئيسه وهو يقول : إنه « البارون » جاكسون ملك حقول البترول في ولاية كاليفورنيا..

رفع الرئيس حاجبيه الكثيفين في دهشة، فأكمل ماجد شارحا : لقد نشرت الصحف المحلية صورته في الفترة الأخيرة مرة أو مرتين لاعتزامه ترشيح نفسه في انتخابات الولاية، وقوله بأنه إذا ما فاز فيها فسوف ينثر الذهب



في الطرقات للناخبين !.

فأشعل ( م ) غليونه، ونفث عدة أنفاس منه في تجهم قبل أن يقول : إن بامكان هذا الرجل ألَّا ينثر الذهب فقط في الطرقات.. بل الموت أيضا !.

قطب ماجد ما بين حاجبيه في دهشة لعبارة رئيسه الذي أكمل قائلاً: إن هذا الرجل يعمل في تجارة سرية لا يدري بها أحد شيئا.. تجارة للموت المؤكد.

ــ هل هو تاجر سلاح ؟.

ــ بل ما هو أسوأ.. فهو سيصير في القريب العاجل تاجرا في الأسلحة والقنابل الجرثومية الفتاكة.. ويبيعها لمن يملك ثمنها مهما كانت هوية هذا الشخص والهدف الذي سيستخدمها فيه.

ومرت لحظة صمت متوترة عبق فيها دخان الغليون المتلاحق سقف الغرفة قبل أن يواصل ( م ) : لقد أنشأ هذا الرجل مصنعا سريا مكان منجم مهجور في صحراء كاليفورنيا القاحلة، وحول هذا المنجم إلى أحدث مكان لصناعة مثل تلك الأسلحة الجرثومية والتي سيكتمل إنتاج

أول شحنة منها خلال أيام قليلة.. حيث تعاقد البارون على بيعها.. للموساد !.

لم يكن للكلمة الأخيرة وقع مفاجئ على ماجد.. فحيث يظهر أي خطر مفاجئ وغير معتاد.. ففي الغالب تكون « الموساد » هناك تحرك الأحداث.

وتساءل ماجد بعد لحظة : ولكن كيف وصلت هذه الأخبار إلينا ؟.

نقر السيد ( م ) غليونه في طرف مكتبه عدة مرات قبل أن يجيب : لقد لاحظنا بعض النشاط في أجهزة « الموساد » في الفترة الأخيرة وأن هناك أكثر من عميل اتجه إلى كاليفورنيا ليجتمعوا بالبارون.. وبمراقبته لاحظنا أنه يقوم بشراء كميات ضخمة من المواد الكيميائية التي يخلطها معا تحت ظروف خاصة يمكن أن تنتج أسلحة جرثومية.. وكان من السهل علينا أن نستنتج الباقي.. وعلى الفور قمنا بشراء ذمة أحد رجاله العاملين معه.. فوعدنا أن يرسل إلينا بالخرائط التي تحدد موقع المصنع بالضبط وقوته الإنتاجية ونوعية إنتاجه بالضبط.. ولكن تلك الأشياء

لم تصل إلينا أبدا.

تساءل ماجد دون انفعال : .

ــ هل اكتشف البارون خيانة رجله ؟.

أجابه ( م ) وهو يطلق زفرة حارة : .

ــ بل الموساد.. وقد تخلصوا منه في الحال !.

وأشاح ( م )بيده في بعض الضيق مضيفا : إن كل ما نعلمه عن مكان هذا المصنع هو أنه يبعد إلى الغرب في صحراء كاليفورنيا مسافة حوالي ثلثمائة كيلومتر من نهر « كلورادو ».

وحدق في ماجد ببعض الغضب لحظة ثمَ قال : ومنذ اللحظة الأولى أدركنا أن محاولتنا كشف حقيقة البارون لسلطات الشرطة الفيدرالية الأمريكية لن يفيد بشيء فالرجل قوي بماله ونفوذه ويستطيع أن يحمي نفسه جيدا، وهو محاط بحماية رسمية لا بأس بها.. كما أننا لا نملك أي دليل على ما نقوله.. وأيضا فنحن حتى نجهل مكان ذلك المصنع بدقة.. فهذا الرجل خطر جدا.. وليس من الحكمة الدخول معه في صراع مكشوف.

غمغم ماجد : يا لها من معلومات !.

تجمدت نظرات « م » وهو يراقب ماجد، ثم نطق في صوت أجش قائلا : إن هذه القنابل الجرثومية يجب منع وصولها للموساد بأي ثمن.. فمن يدري أين يمكن أن تأخذ طريقها بعد ذلك.. أو نوع العمل الذي يمكن أن يقوم به « الموساد » بتلك القنابل الرهيبة.

نقر « ماجد » مقدمة المكتب أمامه وقال :

ــ هناك خطة ما لذلك يا سيدي.. أليس كذلك ؟.

ــ بالطبع.

أجاب « م » وهو ينهض ويعاود اشعال غليونه في توتر.. كان واضحا لماجد أن رئيسه يبدو قلقا وكأنما ليس لديه اقتناع كاف بما سيقوله بعد لحظة.

ونطق « م » قائلا : إن البارون « جاكسون يقيم كل عام حفلا فاخرا يدعو فيه رؤوساء شركات البترول في العالم إلى قصره، فيحتفي بهم احتفاء خاصا ويوزع عليهم الهدايا ليضمن تسويق منتجاته بسعر جيد بعيدا عن أي تأثير أو تغيير للسياسات الدولية وأنت ستسافر باعتبارك نائبا لرئيس

أهم شركة بترول في مصر..

وبالطبع فالمفترض أن رئيس الشركة مريض وغير قادر على السفر فأرسلك بدلا منه.

كانت الخطة برغم خطورتها معقولة بعض الشيء..

ومد « م » يده بملف متخم كبير الحجم إلى ماجد قائلا : في هذا الملف ستجد أهم المعلومات عن شركة البترول المفترض أنك تعمل فيها كنائب للرئيس.. فقد يفاجئك البارون بسؤال ما، فيجب أن تكون مستعدا للإجابة الصحيحة على الفور.

وأضاف « م » في لهجة عميقة : فلا تتوقع أي رحمة من البارون.. إذا اكتشف حقيقتك !.

وأفاق ماجد من أفكاره على صوت يولا وهي تقول في سخط : يا إلهي.. ليس مرة ثانية.

وأوقفت السيارة التي لاحظ ماجد ترنحها وعدم استقامة سيرها، فسأل « يولا » هل أصاب السيارة أي عطب ؟.

فدقت عجلة القيادة بقبضتها الصغيرة وهي تقول غاضبة :

لقد ثقب إطار السيارة مرة ثانية بالرغم من أنني استبدلته أثناء ذهابي إليك.. وليس لدي إطار ممتلئ احتياطي.

ماجد : وماذا ستفعلين ؟.

يولا : سأتصل بالقصر هاتفيا من أقرب هاتف، ليأتي شخص آخر بسيارة ثانية نستقلها.. وللاعتناء بهذه السيارة فلا يمكننا أن نتركها في الطريق ونستقل تاكسيا.

وغادرت « يولا » مقعدها وهي تقول لماجد : ابقى مكانك فلن أتأخر أكثر من دقيقة.

وسارت بمشية جذابة نحو هاتف لا يبعد أكثر من مائة متر.. وأسقطت عملة معدنية داخل صندوق الهاتف وأدارت رقما خاصا من ثلاثة أرقام.

ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتى دوى انفجار رهيب هز المكان.. وأطاح بزجاج كابينة الهاتف.. ولكن يولا لم يبد عليها أنها فوجئت بالانفجار المفاجئ.. واستدارت في بطء لتراقب كتلة اللهب التي اندرجت في سيارة الليموزين الفاخرة وأحالتها إلى جحيم مشتعل.

وتعالى الصراخ والصياح من كل مكان.. وتدافع الناس هاربين من جوار السيارة المحترقة..

أما « يولا » فتركت سماعة الهاتف معلقة مكانها داخل الكابينة المهشمة الزجاج.. واقتربت من السيارة المشتعلة ووقفت تراقبها وفي عينيها نظرة باردة لا تفصح عن أي مشاعر.

ثم تلاعبت ابتسامة صغيرة فوق شفتيها.. وفقد أدت عملها على أكمل وجه.

كانت مهمتها تنتهي عند هذا الحد.. فبإدارة قرص الهاتف كانت الدائرة الإلكترونية داخل حقيبة الليموزين تكتمل، فتنفجر القنبلة الشديدة الانفجار التي كانت مخفاة في مهارة.. أسفل المقعد المجاور للسائق.

مقعد ماجد !.

واستدارت « يولا » لتغادر المكان.. ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتى تسمرت مكانها في ذهول قاتل وكأنها تشاهد شبحا أمامها.

وكان ثمة شخص وسيم بعينين واسعتين وابتسامة ساحرة

وملابس مهندمة، يحمل في يده اليسرى حقيبة سفر، أما يده اليمنى فكانت تحمل حقيبة نسائية، وقدم ذلك الشخص الحقيبة إلى يولا قائلا : لقد تمكنت من إنقاذ حقيبتك في اللحظة الأخيرة، وأعتقد أنني أستحق منك كلمة شكر على ذلك !.

وراقب ماجد يولا وهي ترتعد من الذهول والغضب، وتكاد تفقد وعيها لرؤيته على قيد الحياة مرة ثانية !.

# الموت.. غرقاً

مد البارون « جاكسون » يده يصافح ماجد بقوة، وربت فوق كتفه قائلا : إنك محظوظ يا عزيزي ولا أدري كيف نجوت من الانفجار حتى هذه اللحظة ؟.

أجابه ماجد : إنه ملاكي الحارس الذي دفعني بإلهام خاص لأن أذهب خلف مديرة أعمالك الحسناء بحقيبة يدها التي نستها في السيارة.. فقد ظننت أنها قد تحتاج إلى بعض النقود من أجل الهاتف.. وقد كان في ذلك نجاتي.

كانت لهجة ماجد ساخرة بعض الشيء.. واستدار صوب يولا التي وقفت في بهو القصر الواسع للبارون بوجه شاحب ممتقع دون أن تنطق وحولها عشرات المدعوين الذين انهمكوا في التهام طعامهم وشرابهم.. وقطب البارون حاجبيه

قائلا : يبدو أن ترشيحي للانتخابات قد أصاب بعض أعدائي في الولاية بالغضب فدسوا تلك القنبلة في سيارتي للتخلص مني.

ماجد : لا شك في ذلك يا سيدي.

البارون : ولقد أبلغت الشرطة بالحادث، ولا شك أنهم سيمسكون بالفاعل خلال وقت قريب.

هز ماجد كتفيه في استخفاف قائلا : .

ـ أشك في ذلك يا سيدي.

ضاقت عينا البارون إلى أقصى حد وهو يقول : .

ـ أقصد أن الفاعل كان من البراعة بحيث إنه لم يترك خلفه أي دليل.. ولا شك أن الشرطة ستفشل في العثور على أي خيط يؤدي إليه.. فهذا عمل محترفين.

وتقابلت عينا ماجد بعيني غريمه.. وترامقا لحظة كأن كلٌّ منهما يقيس قوة الآخر ويسبر غوره، ثم غمغم البارون وهو يحتسي كأسه دفعة واحدة : يبدو أنك على حق..

وأشار بيده قائلا : تمتع بالحفل مع الباقين.. وأرجو أن تنسى ما حدث.

انضم ماجد إلى بقية المدعوين.. كان من الواضح أن أحداً منهم لم يعرف بخبر انفجار سيارة البارون وأنهم يقضون وقتا ممتعا في ضيافته.. ولا يدرون شيئا عن حقيقته.

كان المكان فخما يدل على مدى ثراء البارون « جاكسون » وكان غاصا بالمدعوين وزوجاتهم اللواتي تلمع المجوهرات فوق أعناقهن وآذانهن وحول أصابعهن وتساوي الملايين. والتقط ماجد كأسا منْ عصير البرتقال راح يحتسيه على مهل وعيناه تراقبان الموجودين في حذر ولا تغفلان لحظة واحدة.. والأفكار تتداعى في رأسه بسرعة : لم يعد لديه شك في حقيقة ما حدث.. وكان تفسيره لانفجار الليموزين على الوجهة الصحيحة أمرا يسيرا.

كان الشيء المؤكد له أن حقيقته باتت مكشوفة في ذلك المكان.. وأن البارون كان على علم بحقيقته من قبل أن يطأ أرض « سان فرانسيسكو ».. ولهذا أرسل إليه بسيارته الخاصة ومديرة أعماله، التي كان من الواضح أن تلك الأعمال التي كانت مكلفة بها كانت ذات طبيعة خاصة وهي..

القتل دون ضجة.. ودون أن تترك خلفها أي دليل يدين البارون !.

وكانت خطة ذكية أن يرسل البارون سيارته الذهبية الثمينة وبداخلها قنبلة تنسف من فيها.. فيكون التبرير أسهل ما حدث وهو أن أحد منافسي أو أعداء البارون هو من وضع القنبلة داخل السيارة، وأن سوء الحظ هو الذي اختار ماجد لركوبها.. وليس صاحبها الأصلي.. وبالطبع فلن يفكر أحد في أن البارون سيضحي بسيارة من الذهب تساوي مليوني دولار.. ليتخلص من شخص ما مهما كانت أهمية وخطورة هذا الشخص. وكان اكتشاف ماجد للخدعة سهلا..

كان يشم رائحة الخطر دائما بواسطة حاسة خاصة لديه..

ولقد اشتم تلك الرائحة بمجرد رؤيته ليولا.. كان الخطر يفوح منها بشكل ما.. ربما بسبب عطرها الثمين أو ملابسها الأنيقة.. أو جمالها الخارق.. أو كل ذلك معا.

كانت لديه دائما حساسية خاصة تجاه الحسناوات بالغات الجمال.. وكان دائما يعتبرهن أشخاصاً خطرين !.

وعندما أوقفت يولا السيارة بحجة ثقب إطار الليموزين للمرة الثانية ما كان ذلك يمكن أن يخدع ماجد.. فمثل تلك السيارات الفخمة لا ينتظر أصحابها على إطاراتها حتى تثقب ليستبدلوها أو يصلحوها.. وعندما غادرت يولا السيارة لتتصل هاتفيا لم يعد لدى ماجد مزيد من الشكوك.. وبنظرة واحدة داخل السيارة الفاخرة أدرك أن شخصا ما قد انتزع تليفونها من مكانه..

وكان ذلك يعني شيئاً واحداً.. هو أن تكون ليولا فرصة لتغادر السيارة ويبقى فيها ماجد وحده.. وكان استنتاج ما سيعقب ذلك سهلا.. وبقفزة سريعة صار ماجد خارج السيارة التي انفجرت في اللحظة التالية..

ولقد كان وقع المفاجأة على يولا شديداً.. فأغلب المحترفين لا يمكن أن يتسامحوا مع أنفسهم.. عندما تفشل خططهم المعدَّة في مهارة للتخلص من أعدائهم.

ولكن ماجد لم يكن أي عدو.. كان عدوا من طراز خاص !.

وتساءل في بعض القلق، ترى ما هي الخطة التي سيتبعها

البارون للتخلص منه في المرة التالية.. ؟.

وفكر ماجد، ترى هل استنتج البارون أن عدوه أدرك أن حقيقته صارت مكشوفة.. سيكون من الغباء لو أن البارون لم يكتشف ذلك حالا.

وتسلل العطر الفواح إلى أنف ماجد مرة أخرى، فاستدار في بطء وشاهد « يولا » واقفة على مقربة تحدق فيه بابتسامة واسعة ذات إغراء.. واقتربت منه وهي تهمس له : لقد جئت لأشكرك.. بشأن حقيبتي.

قال ماجد باسما : في المرة القادمة تأكدي أن تأخذي حقيبتك معك عندما تغادرين السيارات المتفجرة.

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي يولا الرقيقتين وهمست تقول له : لقد كنت رائعا عندما غادرت السيارة في اللحظة المناسبة.. ولو كان قد أصابك أذى ما كنت قد سامحت نفسي أبدا.

رفع ماجد حاجبيه قائلا بلهجة تفوح منها رائحة سخرية : أحقا ؟.

عادت يولا تطوقه بنظراتها الفاتنة هامسة : أنت شخص

رائع حقا.

بدا لماجد واضحا أن يولا تلقي بشباكها عليه وأنها تمارس معه خطة ما.. وكان عليه مسايرتها، فرفع كأسه الفارغ قائلا : في صحة أجمل وأروع فتاة في أمريكا بأكملها.

ضحكت يولا قائلة : هل ستشرب كأسا فارغة في صحتي ؟.

وأشارت بيدها للجرسون فأقبل أحدهم، والتقطت يولا كأسين من العصير، ومدت أحدها إلى ماجد وهي تهمس له : لماذا لا نذهب إلى إحدى الشرفات بعيدا عن الزحام ونتبادل بعض الحديث ؟.

ماجد : لا بأس بذلك.. ولكنني جائع وفي حاجة إلى بعض الطعام الخفيف أولا.

واقترب من مائدة الطعام والتهم من أصنافها العديدة بضع لقيمات، ثم بادل يولا ابتسامة واسعة وسار معها وقد تأبطت ذراعه صوب شرفة هادئة تظللها بعض نباتات الزينة العريضة، وتطل صوب الخليج، وقد ظهر على البعد جسر

البوابة الذهبية تلمع الأضواء فوقه كأنها نهر من النور.

وسأل ماجد يولا : هل أنت متزوجة ؟.

ولكنها هزت كتفيها في بعض الحزن نافية.. وراقبها ماجد.. كانت تبدو كمثال للجمال المكتمل.. ولو كان في موقف آخر لانخدع بجمالها الساحر.

وعاد يقول ليولا : لو أنني كنت مكان البارون لما تركت فتاة لها مثل جمالك تحوم حولي.. دون أن أجعلها تشاركني حياتي بأكملها وتصير سيدة قلبي.

انتفضت يولا وبدا عليها كأنما مس ماجد وترا حساسا في حياتها.. فمنذ اللحظة الأولى بدا لماجد أن تلك الحسناء متعلقة بسيدها.. وأنها لا تنفذ أوامره فقد بسبب المال.. بل بسبب آخر.. وأنها على استعداد لقتل نصف رجال العالم.. فقط لكي تحوز رضاه !.

وشردت نظرات يولا بعيدا وبدت كأنها موشكة على البكاء وعضت على شفتيها في قسوة وهي تقول : إنه لا يكاد يراني أمامه.. وكل ما يفكر فيه طوال الوقت هو المال.

ومرت لحظة صمت.. وعادت نظرات يولا لتتجمد وتختفي منها مشاعرها الخاصة وهي ترمقه متفحصة كأنها تنتظر منه حدوث شيء ما.. ونظراتها مركزة على كأسه الفارغة بين أصابعه.. وشعر ماجد ببعض الشفقة عليها فأراد أن يقول لها شيئاً ما مواسياً.. ولكن الكلمات تجمدت فوق شفتيه ولسانه.. وشعر بشيء غريب يسري في كيانه..

شيء أشبه بالشلل يسيطر على أطرافه.. ذراعيه وساقيه، وحتى عقله بدا وكأنه قد توقف عن التفكير ولسانه قد شل.. وعندما أراد أن يتحرك من مكانه استحال عليه أن يحرك أصبعا في قدمه.

وجمدت نظراته كأنها شلت أيضاً.. وفي لحظة خاطفة التمعت عيناه كأنما أدرك الحقيقة.. كان في كأس البرتقال التي احتساها مخدر خاص يشل أطرافه وجهازه العصبي فيتركه مثل صنم من حجر لا يقدر على الحركة ولكنه في نفس الوقت يرى ويسمع ويفهم كل ما يدور حوله.

وراقبته يولا بنظرة ذهبية، ثم انفجرت ضاحكة بصوت عال.. ضحكة امرأة محترفة.. وألقت بكأسها بعيدا فتهشم

فوق الأرض الرخامية، واقتربت من ماجد في صوت كالفحيح همست تقول له : لقد نجوت مرة ولكنك لن تنجو هذه المرة.. فذلك السائل الذي وضعناه لك في كأس البرتقال سوف يشلك عن الحركة ساعات طويلة ولن نحتاج منها غير بضع دقائق لنقضي فيها عليك.

لم يقدر ماجد على النطق، وراقب يولا بلسان معقود، وواصلت يولا همسها الكريه قائلة : كان من الغباء أن تخطو إلى هذا المكان بعد أن نجوت من انفجار السيارة.. فقد كنت أظن أنك أذكى من ذلك، ولكن ثقتك الزائدة في نفسك أوقعتك هذه المرة.. ولن تأخذنا أي رحمة بك.

وظهر البارون في مدخل الشرفة بقامته المديدة وهو يرمق ماجد بنظرات حادة مقطبة فاقتربت منه يولا هامسة : كان الفشل في المرة السابقة استثناء يا سيدي البارون.. وها هو ذلك العميل المصري بين يديك لا يقدر حتى على تحريك أصبع، فافعل به ما تشاء.. يمكنك أن تطلق عليه رصاصة في قلبه أو تصيبه بطعنة في قلبه أو حتى تصعقه بالكهرباء.. فإنه لن يقدر حتى على إطلاق كلمة تأوه.

وواصلت همسها في صوت أقرب إلى البكاء : وأرجو أن تكون قد صفحت عني لخطئي السابق.

قطب البارون حاجبيه بشدة دون أن ينطق.. واقترب من ماجد ووقف أمامه، وتأمله لحظة ثم قال : لقد أخبرني أصدقائي في الموساد أن هذا الرجل بارع إلى أقصى حد.. ولكنني أرى أنه أقل براعة مما يظنون.

واستدار إلى يولا قائلا : إنني لا أريد إحداث ضجة في قصري.. ولا أريد دماء أو قتلاً في هذا المكان.. وبعد أن ينصرف المدعوون بعد قليل عليك بحمل هذا المصري مع بعض الرجال إلى الخليج، وتخلصوا منه هناك بالطريقة المناسبة.

وألقى نظرة إلى ساعته ثم أضاف : فهناك بعض الأصدقاء المهمين الذين سيأتون في منتصف الليل.. وسنذهب في رحلة بعيدة لبضعة أيام.

وحدق في يولا بنظرات خشنة ثم قال : وأريد قبل أن أقوم بهذه الرحلة الاطمئنان بأن مياه الخليج قد ابتلعت هذا المصري إلى الأبد، وأن أحداً لن يعرف له طريقاً بعد الآن.

وغادر البارون الشرفة.. وراقبته يولا متجهمة حتى اختفى ظله فوقفت تحدق في الفراغ، ثم التقطت حبلا قيدت به ذراعي وساقي ماجد الواقف مكانه كالمشلول، وقالت له ساخرة : لعلك الآن تدرك أنني لست بالحماقة التي ظننتها وبذلك نصبح متعادلين.. ثم التقطت من أحد الأركان زجاجة ويسكي راحت تعب منها في شراهة..

وعندما هدأت الضجة داخل القصر وانصرف المدعوون بعد قليل أقبل ثلاثة من الرجال الأشداء حملوا ماجد فوق أيديهم خارج القصر.. ووضعوه في المقعد الخلفي لسيارة عريضة.. وهو لا يبدي نحوهم أي مقاومة.

وقادت يولا السيارة حتى بقعة مظلمة من الشاطئ وخلفها سيارة الرجال الثلاثة. ثم توقفت السيارتان في مكان خاص على الشاطئ. وفي صمت أخرج رجال البارون ماجد من مكانه وقيدوا ساقيه إلى حجر ثقيل وحملوه إلى قارب بخاري كان ينتظر قريبا.

وأدارت يولا القارب البخاري فدار صوت محركه مبددا سكون المكان.. وتحرك القارب إلى مسافة من الشاطئ

ثم أوقفته يولا، واستدارت إلى ماجد الملقى في القارب دون حراك وقد تيبست أطرافه المقيدة، وقالت له ساخرة : ودائما يا عزيزي.. فسوف أرسلك إلى مكان لن يمكنك العودة منه بأية حقائب مرة أخرى.

ودفعت بماجد خارج الزورق قائلة: إلى الجحيم يا عزيزي.

ارتطم جسد ماجد بالماء، وخلفه الحجر الثقيل في صوت حاد، وسرعان ما غاص الحجر في قلب الماء البارد المظلم، وهو يجذب معه جسد ماجد الذي ابتلعته المياه في ثانية واحدة تاركة مكانه على السطح دوامات هادئة واسعة.

وأمسكت يولا بحقيبتها الصغيرة وطوحت بها في قلب الماء وهي تقول ساخرة : ها هي حقيبتي.. حتى لا تفتقد شيئا في جهنم يا عزيزي، ثم راقبت سطح الماء الذي استعاد هدؤه وسكون صفحته.

وعندما أطمأنت إلى النتيجة، أشعلت سيجاراً نفثته في تلذذ، وأشارت للرجال الثلاثة فقادوا الزورق عائدين إلى الشاطئ، دون أن ينطق أحدهم بكلمة واحدة !.

# عودة الشبح

داعب البارون « جاكسون » ببغاء زاهية الألوان في قفص ذهبي فوق منضدة من العاج الثمين داخل حجرته الوثيرة، ثم التفت إلى الخلف قائلا : لقد كنت رائعة يا عزيزتي يولا.

وعلى الفور ردد الببغاء في صوت حاد متكرر : عزيزتي يولا.. عزيزتي يولا.

وأشار البارون بأصبعه قائلا : لقد أصلحت خطأ فادحا كدنا ندفع ثمنه جميعا.. لو كان ذلك المصري قد فكر بطريقة أخرى فاختفى بعد انفجار الليموزين وظنناه مات بداخلها.. ثم فاجأنا ببقائه على قيد الحياة، لما كان أحد يستطيع التنبؤ بما سيحدث وقتها.

ولكن يولا لم تهتز لما قاله البارون وأجابته في هدؤ :

ـــ لا أظن أن مثل ذلك الأمر كان سيصبح سرا وقتا

طويلا.. لأن فحص الليموزين كان سيثبت أن أحدا لم يكن بداخلها لحظة انفجارها، وسيكشف هرب ذلك المصري منها، وهو الأمر الذي جعله يكشف لنا سريعا عدم احتراقه داخل الليموزين.

قطب البارون حاجبيه قائلا : يبدو أن ذلك المصري كان يمتلك بعض الذكاء.. بالرغم من الطريقة السهلة التي تخلصنا بها منه.

وردد الببغاء : تخلصنا بها منه.. تخلصنا بها منه..

وتلاشى صوت الببغاء سريعا.. وخطا البارون خارج الحجرة الواسعة وهو يقول : لقد حان الوقت للقيام برحلتي يا عزيزتي يولا.. وعليك البقاء هنا وعيناك مفتوحتان تماما.. فأنا لن أغيب أكثر من يومين.

اندفعت يولا إلى البارون هاتفة في لهفة : ألا يمكنني الذهاب معك ؟.

ولكن البارون داعب خصلات شعرها الذهبية قائلا : إن مكانك هنا يا عزيزتي.. وأنا لن أغيب طويلا.

همست يولا في صوت أقرب إلى البكاء : لماذا تتجاهل مشاعري وتعاملني دائماً كأنني مجرد مديرة أعمال تحركها بإشارة واحدة من اصبعك، دون أن تلتفت لحظة واحدة لما تنطق به عيناي أو يهمس به قلبي.

ولكن ابتسامة باردة ملأت وجه جاكسون وهو يجيبها قائلا : أخبرتك من قبل ألف مرة يا عزيزتي، أنني لا أرغب في أن يقحم إنسان ما مشاعره الخاصة في العمل.. وخاصة أنت، فليس لدي وقت لمثل تلك العواطف.

وخطا خارج القاعة، فخبطت يولا الحائط بقبضتها في غضب حاد ارتجفت بسببه الببغاء الزاهية.. وغمغمت في صوت هامس أقرب إلى الفحيح : هذا الأحمق.. لماذا يصر على إبعادي بمثل تلك الطريقة الفظة.

ورددت الببغاء كلمات يولا الأخيرة في صوت حاد عال.

وفي الخارج حلقت طائرة هليكوبتر فوق ساحة دائرية خلف القصر، ثم هبطت في رشاقة في قلب الساحة الدائرية، وقفز منها ثلاثة رجال كانت لهم سحنات حادة وعيون حذرة مقطبة، وقد ارتدوا بذلات ذات ألوان داكنة كئيبة

تقطع باعتلال مزاجهم الخاص.. كان أحدهم برتبة كولونيل وكان من الواضح أنه رئيس الآخرين.

واقترب البارون جاكسون مبتهجا من الرجال الثلاثة، ومد يده مصافحا وهو يقول : كيف حالك يا دافيد.. وأنت يا شارون.. والكولونيل موسى ؟.

مد الرجال الثلاثة أيديهم مصافحين في صمت، دون أن تعكس وجوههم أية بهجة وتساءل الكولونيل في تقطيب وغضب مكبوت : أين ذلك المصري الذي أبلغناك عن حقيقته قبل وصوله سان فرانسيسكو.

هز جاكسون كتفيه دون اهتمام قائلا : لقد ذهب إلى الأبد ولن يضايق أحدا بعد الآن.

دق الكولونيل حافة الطائرة التي توقفت مراوحها عن الدوران، وقال في غضب حبيس : لقد كانت أوامرنا أن تبقي على حياته لحين مجيئنا وتسلمه لنا، فلماذا خالفت الأوامر ؟.

اكتسى وجه جاكسون بتعبير بارد ونطق قائلا : أنا لم أعتد أن أتلقى الأوامر من أحد.

بصق دافيد على الأرض قائلاً : كنا سنمنحك ما تريد من مال ثمنا لحصولنا على هذا العميل المصري حيا.

ولكن البارون واجهه في استهانة قائلا :

ـ لست في حاجة إلى مالكم فلديّ الكثير.

حدق الكولونيل في البارون لحظة مكتئبا ثم قال من بين أسنانه : إنني لا أفهم سر تصرفك.. لقد تعاونّا كثيرا من قبل ونفذت طلباتنا دون مناقشة، ومقابل ذلك تخلصنا لك من تلك البارونة العجوز المزعجة ليتسنى لك التمتع بلقبها ومالها، فلماذا رفضت تنفيذ ما طلبناه منك هذه المرة ؟.

التمع بعض الغضب على وجه جاكسون وقال : ليس من الممتع لي كل لحظة أن تذكروني بأفضالكم علي.. فكما ساعدتموني فقد ساعدتكم من قبل كثيرا فنحن بذلك متعادلون.. وعما قريب وعندما أصبح نائبا عن تلك الولاية في مجلس الشيوخ فسيضاف نائب جديد إلى قائمة رجالكم في هذا المجلس وبذلك ترون أنه لا فضل لأحد على الآخر.. وأنا أعترف انكم ساعدتموني في إنشاء ذلك

المصنع القذر للقنابل البيولوجية والجرثومية، ولكنكم كنتم تهدفون للاستفادة منها لصالحكم أولا، بشرائكم قنابل جاهزة، دون أن يعرف أحد شيئا عن ذلك.. ودون أن تضطروا لإنشاء مصنع قذر في بلادكم، قد يعرضكم للتساؤلات المحرجة مع حكومتنا التي تنادي بمحاكمة كل من يصنع هذه القنابل.. أليست تلك هي الحقيقة يا حكماء الموساد ؟.

تبادل الرجال الثلاثة النظرات الصامتة، ومضغ شارون قطعة من التبغ، كان يبدو أهدأ رفاقه وأكثرهم خبثاً وحذرا، وتساءل في صوت عميق : وماذا بعد ؟.

مد البارون أصبعه في وجه محدثيه قائلا :

ــ كانت هذه العملية ذات شرط وحيد.. أن تساعدوني في بناء هذا المصنع فسيكون لكم أفضلية في شراء منتجاته.. ولم يكن من ضمن الشروط أن أسلمكم عميلاً ما تابع لأية دولة.. فهذه اللعبة ليست من شأني ولا أحب لعبها فهي تخرج عن نطاق اختصاصي، ولذلك رغبت في التخلص من هذا العميل في هدوء ودون ضجة، فهل يقنعكم هذا التفسير أم لا ؟.

تبادل الضباط الثلاثة نظرة أخرى دون أن ينطق أحدهم بشيء، ودق البارون الأرض بقدمه في عصبية وقد احتد صوته صائحا : كما أنني لا أحب أن تكون هناك عيون متلصصة علي تراقب كل تصرفاتي وتبعث بها اليكم.

ربت الكولونيل على كتف البارون قائلا : لا عليك يا جاكسون.. لقد انتهى كل شيء ما دام ذلك العميل المصري قد لاقى حتفه فهي نتيجة لا بأس بها وستقنع بعض رؤسائنا بأن العميل لم يكن سيئا تماما.. والآن يمكننا أن نبدأ رحلتنا المتفق عليها، فهناك الكثير من العمل الذي ينتظرنا.

وضغط على ذراع محدثه في رفق متسائلا في نعومة : هل سيبدأ أول إنتاج للمصنع في موعده ؟.

أومأ البارون برأسه موافقا ببعض العصبية فعاود الكولونيل ربت كتف البارون كما لو كان صديقا حميما وهو يقول :

ــ حسنا.. إننا نرغب أن نكون هناك عندما يحدث ذلك.. هيا بنا.

وقفز الضباط الثلاثة داخل الهليكوبتر وخلفهم جاكسون، وفي لحظات حلقت الطائرة العمودية عاليا ثم اتجهت إلى الشرق.

وبعد ساعتين من الطيران المتواصل حلقت الهليكوبتر فوق بقعة مظلمة في صحراء قاحلة، كانت معالمها مطموسة وغارقة في الظلام، وضغط البارون فوق بعض الأزرار في جهاز يشبه «الريموت كنترول» أخرجه من جيبه. وفي الحال تحرك جزء من تل صغير كاشفا عن فوهة مظلمة.. فهبطت الهليكوبتر أمام التل وأوقفت دوران مراوحها.. وقفز الرجال الأربعة من الطائرة العمودية واتجهوا داخلين الفوهة التي تكشفت لهم.. على حين تكفل بعض الرجال المسلحين الذين ظهروا من مكان ما في الجوار، بجذب الهليكوبتر إلى الداخل بواسطة ونش عملاق.. وبعد لحظات تحرك التل عائدا إلى شكله السابق، فعادت الصحراء كما كانت.. قاحلة منبسطة لا تنبئ بشيء من أسرارها.

* * *

تحرك شيء كالح السواد بجوار أسوار القصر العريض

الغارق في الظلام، فاقترب أحد الحراس المدججين بالسلاح وأصابعه متأهبة فوق بندقيته هاتفا : ما الذي يتحرك هناك ؟.

وجاوبه صوت من الظلام بإنجليزية خشنة يقول : اخفض صوتك أيها الغبي وإلا أيقظت فئران الحقول التي شرعت في النوم منذ قليل !.

وأعقب صاحب الصوت عبارته بضربة مكتومة من قبضته، ما أن لامست فك الحارس حتى هشمت جزءا من أسنانه الأمامية، وأسقطته على الأرض بلا حراك.

وجذب الشبح الذي بدا من قلب الظلام الحارس الفاقد الوعي وأخفاه خلف إحدى الأشجار بجوار سور الحديقة، واستولى على سلاحه، وعلى مسافة شاهد حارساً آخر يقترب وقد تناهى إليه صوت سقوط زميله الملقي فوق الأرض العشبية، وهو قابض على سلاحه في حذر. ومن لخلف أيضا جاءه صوت مفاجئ يقول للحارس الثاني : ن زميلك يدعوك للحاق به.

فهتف الحارس متسائلا دون وعي : إلى أين ؟.

ــ إلى الجحيم طبعاً أيها الغبي !.

وأعقب الشبح عبارته القصيرة بضربة من مؤخرة بندقيته فوق رأس الحارس الثاني، فترنح الأخير ثم تهاوى على الأرض دون حراك، فجذبه الشبح من سترته ليخفيه بجوار زميله قائلا : إن فئران الحقول سوف تقدر لكم كثيراً عدم إزعاجها خلال نومها العميق هذه الليلة.

واقترب الشبح من القصر متلصصا ورفع بصره في حذر.. كان السكون والظلام يشملان المكان، عدا حجرة وحيدة كان ينبعث من شرفتها المفتوحة ضوء خفيف، فأخرج الشبح من ملابسه المبتلة خطافا صغيرا يمتد منه حبل رفيع طويل من مادة بلاستيكية تمنحه قساوة الصلب، وفي مهارة طوح الشبح بالخطاف عاليا فأشتبك في حافة النافذة دون صوت.. وأختبر الشبح الخطاف فوجده قد ارتكز مكانه بشدة، فتسلقه في مهارة حتى استقر أمام حافة النافذة.

وفي الداخل شاهد « يولا » تذهب وتجيئ داخل حجرتها وهي لا تزال بملابسها، وقد احتقنت عيناها بلون دموي حاد وهي تحتسي كأساً مملؤة بالويسكي.

وقفز الشبح إلى داخل الحجرة وهو يقول : أرى أنك

يا سيدتي موشكة على البكاء، ولحسن الحظ أنني أتيت في اللحظة المناسبة لأعيد لك منديلك الذي فقدته في الخليج.

ومد الشبح يده بشيء إلى يولا..

كان حقيبتها التي ألقتها في الخليج.

وكان الشبح الواقف أمامها هو آخر شخص تتوقع رؤيته.. في عالم الأحياء على الأقل !.

وغمغمت يولا في صوت أقرب إلى الجنون : أنت.. مستحيل.. لا بد أنك شبح !.

ولكن ماجد تقدم صوبها ساخرا وهو يقول : يمكنني أن ألكمك فتتأكدي أني لست شبحاً.. لكن من المؤسف أنني لست ممن يلكمون النساء، حتى لو كانت إحدى هذه النساء قد ألقتني في الماء مربوطا مع حجر وزنه نصف طن !.

تراجعت يولا إلى الوراء وقد تملكها ذهول قاتل، وغمغمت في صوت متحشرج: أنت.. كيف نجوت من الموت.

ولكن ماجد أزاح خصلة شعره المبتلة من فوق جبهته وهو يجيبها :

ــ لا تشغلي نفسك بذلك، فهو أمر تافه لا تدعيه يفسد علينا تلك الليلة الرائعة ! وأضاف ساخرا : ربما لو أنك لم تلق بحقيبتك في الماء خلفي لما تكبدت كل هذا العناء لأعيدها إليك، وبالطبع فما كان يمكنني ذلك وأنا مقيد اليدين والقدمين ومربوط إلى حجر وزنه نصف طن، ومن ثم فقد اضطررت إلى التخلص من كل تلك الأشياء لأعود لك بحقيبتك، وأثبت لك أنني رجل جنتلمان بحق. ولا أستحق أن تحاولي قتلي مرتين في ليلة واحدة !.

غمغمت يولا في ذهول : إنني لست أفهم شيئا.. إن عقلي يكاد يجن.

جاوبها ماجد بابتسامة رائعة قائلا :

ــ لو أنك فتحت حقيبتك لربما أمكنك تفسير الأمر على وجهة معقولة.. وفي الحقيقة أنه حتى للمحترفين أخطاؤهم، ولذلك فإنك لم تفكري لحظة واحدة في تفتيش حقيبتك الصغيرة عندما أعدتها إليك بعد انفجار السيارة،

ولو أنك فعلت ذلك لاكتشفت بداخلها جهاز ميكروفون دقيق جدا بحجم حبة الأرز، ومن خلال جهاز صغير لاسلكي كنت أحتفظ به معي، أمكنني أن أسمعك بوضوح وأنت تضعين مع البارون جاكسون خطة لشلّي بواسطة ذلك السائل في كأس البرتقال الذي قدمته لي، ومن أجل هذا ولأنني رجل جنتلمان فما كان يمكنني أن أرفض تلك الكأس التي منحتها لي، وإن كان أمكنني بسهولة أن أفرغ محتوياتها في مكان ما بالشرفة دون أن تنتبهي لما فعلته، وعندما رأيتي الكأس فارغاً ظننت أنني جرعته.. وبالطبع كان علي أن أمثل الدور إلى نهايته وأتظاهر أن الشلل قد أصابني.. وبعدها أسعدتني تلك الرحلة البحرية إلى الخليج فقد كنت في حاجة إلى بعض الهواء المنعش، وإن كان البلل الذي أصاب بذلتي عند إلقائي في الماء قد أفسدها لسوء الحظ وأضاع بهجة الليلة الساحرة.

حدقت يولا في ماجد في ذهول بالغ دون أن تجد ما تنطق به.. وواصل ماجد حديثه وهو يجلس أمامها واضعاً ساق فوق ساق : أما فيودي فكان سهلاً عليَّ التخلص منها بتلك السكين التي سرقتها من فوق مائدة العشاء في القصر

عندما أخبرتك أنني جائع وفي حاجة إلى بعض الطعام، وبالطبع فقد كان علي أن أحاذر أثناء سرقة السكين وإلا لمحتني وأخذت فكرة سيئة عني تفسد الطريقة الرائعة التي كنت تخططين لقتلي بها !.

غمغمت يولا قائلة : أي شخص شيطان تكون ؟.

هز ماجد كتفيه دون أن تغادره ابتسامته قائلا :

ــ إنها لعبة محترفين يا عزيزتي.. وعلى من يدخلها بإرادته أن يستوعبها تماما.. وإلا تكفلت سيارة ملغومة أو شراب مسموم بإنهاء حياته مثل أي غر أحمق.

غمغمت يولا في حقد قائلة : لماذا عدت إلى هنا.. ماذا تريد مني ؟.

هز ماجد كتفيه في استخفاف مرة أخرى قائلا : إن كل ما أرغب فيه مجرد رحلة صغيرة خلف عزيزنا جاكسون، فأنا أعرف أنه قد غادر قصره إلى مكان ما في الصحراء، وأريدك أن تصحبيني إلى هذا المكان.. وقد كان بإمكاني أن آتي مبكراً لأصطحب عزيزنا جاكسون بنفسي، ولكني خشيت أن يرفض ذلك، وخاصة أنه كان

ينتظر ضيوفًا كانوا سيسارعون إلى إطلاق أسلحتهم في هيستريا إذا ما شاهدوني حيا مرة أخرى.. لذلك آثرت أن ألحق بالجميع ليكون وقع المفاجأة عليهم لطيفا عندما يشاهدونني ثانية.. فإنني مولع بالمفاجآت.

واتسعت ابتسامته وهو يضيف : وأنت طبعا التي ستدلينني على المكان الذي ذهب إليه جاكسون مع ضيوفه.. ولهذا ترين السبب الذي جعلني أعود إليك هذه الليلة.

قالت يولا ساخرة : أنت واهم إذا ظننت أنني سأفعل ذلك.

ــ حقا.. حسنا.. جربي ذلك بمحاولة الصراخ مثلا لاستدعاء حراس هذا المكان، ولتري كيف أنني بارع جدا في إصابة الهدف.. فقد حذرتني جدتي وهي على فراش الموت من الحسناوات ذهبيات الشعر، وأخبرتني ألا أنسى اصطحاب مسدس معي إذا ذهبت الى موعد غذاء مع حسناء من ذلك النوع !.

ضاقت عينا يولا إلى أقصى حد، ووقفت تراقب ماجد وفي عينيها حقد عميق.. وتحركت أصابعها بغتة لتلتقط

شيئا على يسارها..

شيئا كان معلقا إلى الحائط.. خنجرا مسموما احتالت حتى وقفت بجواره وهي تتظاهر بالفزع والخوف لتقترب منه..

وغمغمت يولا في حقد وأصابعها تقبض على الخنجر الرهيب : لعل جدتك كانت على حق في تحذيرك من الحسناوات ذهبيات الشعر.

وطار الخنجر من مكانه في غمضة عين صوب قلب ماجد في رقة مدهشة.

# طائر.. فوق الجحيم

وقد كان ماجد يتوقع أن تفعل « يولا » ما فعلته بالضبط.. ففي حالتها لم يكن أمامها من حل آخر للنجاة بنفسها، ولم يكن من الغباء بحيث لا يلاحظ اقترابها من الخنجر المعلق على الحائط.. أو ماذا ستفعل به.

وقفز ماجد من مقعده، وفي اللحظة التالية وفي أقل من الثانية استقر نصل الخنجر في ظهر المقعد. ولكن يولا قفزت خارج الحجرة وهي تصرخ بأعلى صوتها : هناك عدو في القصر.. أمسكوا به.

وقفز ماجد خلفها.. ولكنه ما كاد يغادر الحجرة حتى دوت أصوات طلقات رصاص صوبه، فأسرع يحتمي خلف الباب الذي غادره منذ لحظة..

كانت « يولا » واقفة في نهاية الردهة وقد تسلحت

ببندقية التقطتها من مكان ما، وراحت تطلق النار صوب ماجد المحتمي خلف الباب.. وصرخت الببغاء بصوت حاد مرتعب من قفصها : احتموا سريعا.. أرض الذهب.. عزيزتي يولا.. عدو في القصر أمسكوا به.

وسمع ماجد أصوات أقدام مهرولة وتضاعفت طلقات الرصاص.. كان واضحا أن عشرات من الحراس قد جذب انتباههم أصوات الرصاص وصيحات « يولا »..

وكان من الغباء لماجد أن يبقى في مكانه لحظة أخرى، وأن يواجه عشرات الأعداء في مكان ضيق..

وعندما تدافع عشرات المسلحين إلى داخل الحجرة شاهرين أسلحتهم.. لم يكن لماجد أي أثر في المكان بأكمله.

وجزت يولا على أسنانها في غضب حارق هاتفة: أين اختفى هذا الشيطان بحق الجحيم ؟.

كان الصباح باردا منعشا عندما خطا ماجد داخل الطائرة الخاصة الصغيرة المستأجرة وأدار المحركات فهدرت في قوة.. وبعد لحظات كانت تشق طريقها إلى عنان السماء..

وحلقت الطائرة الصغيرة فوق خليج « سان فرنسيسكو » والشاطئ الرائع.. وظهرت التلال العديدة العامرة بالعمارات الفخمة والقصور الأنيقة، ثم انحدرت الطائرة جهة الشرق.. صوب الصحراء الممتدة على اتساعها.

واستمر ماجد في طيرانه قرابة الساعتين وقد فرد أمامه خريطة عريضة راح يتأمل أجزاءها، وقد صنع دائرة صغيرة فوق بقعة خاصة فيها.

بقعة كان اسمها « أرض الذهب » !!.

كانت البقعة تمتد بأسفل تحته مسافة عشرة كيلو مترات، وقد كان ماجد واثقاً أنه في مكان ما من تلك البقعة كان يختفي عدوه « البارون » جاكسون ومصنعه القذر.. ولكن أين بالضبط.. ؟ كان ذلك هو السؤال الذي لا يملك إجابته.

كانت الصحراء تحته قاحلة لا أثر فيها لأي حياة عدا بعض الزواحف الكبيرة التي تطلعت إلى السماء بعيونها الواسعة القبيحة، وشمس الظهيرة الحارقة قد راحت تعكس فوق جلودها السميكة ألوانا براقة.. وعلى مسافة لم يكن



هناك غير أشجار الصبار اليابسة، والكثبان الرملية والتلال الصخرية الممتدة إلى ما لا نهاية.

وعاود ماجد تحليقه فوق ذات البقعة في شكل دائري عدة مرات..

كان يتبع خطة خاصة.. ولم يكن أمامه غيرها..

ولقد نجحت خطته تماما.. خطة الطريدة التي أرادت جذب انتباه صائدها !.

فمن مكان بأسفل الوادي دوى صوت طلقة مدفع.. وانحرف ماجد في اللحظة المناسبة بطائرته الصغيرة ليتجنب القذيفة التي أوشكت أن تصيب منتصف طائرته.. ثم دوت قذيفة ثانية وثالثة.. واستمر ماجد في اللعبة بالانحراف عن القذائف التي انهمرت حوله في السماء.. كأنه يطير فوق الجحيم ذاته.

ولاحظ ماجد أن القذائف من نوع قديم جداً.. ولم يكن لديه شك في أنها تنطلق من مدفع قديم أيضا.. كان لسكان هذا المكان قبل عشرات السنين.

وخلال ذلك استطاع تمييز المكان الذي انطلقت منه

الطلقات بالقرب من أحد التلال بأسفل..

وارتجت الطائرة بشدة في اللحظة التالية.. والتفت ماجد ليشاهد الدخان منبعثا من الطائرة.. بعد أن أصابتها طلقة مدفع.

وظهر شريط من الدخان خلف الطائرة التي شبت فيها النيران..

ولم يكن بداخل الطائرة أي مظلة للنجاة.. وحاول ماجد قدر طاقته أن يتمالك سيطرته على الطائرة وهي تهوي به لأسفل..

واختار بقعة على شكل رمال جرداء منبسطة كانت تصلح للهبوط.. فاندفع ماجد نحوها بطائرته المحترقة، التي اعتدلت في اللحظة الأخيرة لتدرج فوق الممر غير المهيأ الذي كان ينتهي بأحد الكثبان الرملية..

وقفز ماجد من الطائرة المشتعلة فوق الرمال وتدحرج مبتعدا، واستمرت الطائرة على اندفاعها قبل أن تصطدم مقدمتها بالكثبان الرملية.

وفي اللحظة التالية انفجرت الطائرة في صوت مدوٍ، وتناثرت إلى ألف قطعة مشتعلة. فغمغم ماجد وهو ينفض الرمال عن ملابسه في أسف : كان هبوطا رائعا.. ولكن المؤسف أنه لن يتكرر ثانية بنفس الطائرة !.

وتلفت حوله.. لم يكن هناك أثر لإنسان في المكان..

وكان ماجد يتوقع استقبالا من نوع آخر، فغمغم في شك : لا يمكن أن يكون أصحاب هذا المكان لم يعرفوا بوصولي بعد.. فإن تلك المدافع لم تنطلق من نفسها ؟ ولكن الصمت المريب كان لا يزال يخيم على المكان.. وتحرك حيوان زاحف على مسافة وهو يرقب ماجد بعينيه القبيحتين الواسعتين وذيله الكبير يتحرك في إشارات عصبية.

ولم يكن هناك أي شيء آخر يتحرك في مدى بعيد.. وأحس ماجد بحرارة الشمس قوية لاسعة..

لم يكن على امتداد البصر أي أثر للماء أو الطعام.. وعلى مسافة قريبة تبدو آثار لبقايا أكواخ كانت مأهولة بالسكان في وقت ما منذ مائة عام على الأقل، وقد هجرها اصحابها دون رجعة.. وكان أقرب مكان مسكون آهل

بالناس على مسافة لا تقل عن ثلثمائة كيلومتر على حافة نهر « كلورادو ».

وتحرك ماجد تجاه المكان الذي لمح القذائف المدفعية تنطلق منه.. ولكن التل الصخري كان راسخا في مكانه لا يخفي شيئا خلفه.

راقب ماجد المكان مندهشا.. كانت خطته حتى تلك اللحظة قد سارت كأحسن ما تكون.. فبتلك العبارة التي التقطها من الببغاء قبل اختفائه من قصر البارون أمكنه تحديد المكان الذي يبحث عنه بدقة.

أرض الذهب.. كانت تلك التسمية تطلق على البقعة التي سقط فيها، وكانت فيما سبق أرضا يستخرج منها المهاجرون الأوائل الذهب، ولكنها وبعد أن فرغت من المعدن الثمين هجرها سكانها قبل عشرات السنين وعادت صحراء جرداء لا يفكر إنسان عاقل في زيارتها.

التقط ماجد العبارة من ببغاء البارون ولم يكن الأمر في حاجة إلى ذكاء شديد ليدرك أن الببغاء قد التقطت نفس العبارة من صاحبها في حديث عابر..

وعندما راجع ماجد خريطة صحراء كاليفورنيا كان من السهل عليه أن يدرك أن أرض الذهب هي بغيته، وخاصة أن المساحة بينها وبين نهر « كلورادو » كانت ثلثمائة كيلومتر.. نفس المسافة التي حددها عميل « م » ورجل البارون الخائن قبل أن تقتله الموساد.

وكان من المستحيل على ماجد أن يقطع عشرات الكيلومترات في قلب أرض الذهب باحثا عن المصنع السري المخفي تحت رمال الصحراء.. ولهذا تعمد أن يكشف نفسه بطائرته من أجل أن يبادر عدوه بإطلاق النار عليه.. ثم القبض عليه بعد ذلك فيكفيه مشقة البحث فوق الرمال في مساحة واسعة.

كان ماجد يسعى للوقوع في الأسر.. فذلك كان الحل الوحيد الذي بواسطته سيكشف أعداؤه مكانهم ومكان المصنع داخل رمال الصحراء.. صحراء الجحيم..

ولكن الصحراء ظلت على صمتها وسكونها والشمس ما تزال متوهجة تطلق شواظا من نار وتشوى الأرض شيا. كأن ما يحدث له هو الاحتمال الوحيد الذي لم يضعه

في حسبانه.. وليس لديه ولا جرعة ماء واحدة في ذلك اللهيب اللاسع للرمال حوله وللشمس الحارقة.

وتحرك ماجد محاولا استكشاف المكان.. وتخلص من بعض ملابسه التي كانت تزيد من سخونة جسده وتعيق حركته..

وعلى مسافة شاهد فوهة منجم قديم مهجور.. وحيا الأمل بداخله فأسرع تجاهه في حذر.. ولكن المنجم كان مظلما ساكنا رطبا.. وليس من أثر للحياة بداخله غير بعض الزواحف التي أسرعت هاربة عندما سمعت صوت خطواته المقتربة..

وتحرك ماجد قرابة مائة متر داخل المنجم الملتوي الهابط لأسفل، ثم توقف عندما شاهد بعض الأحجار الضخمة التي كانت تسد المنجم، وقد ظهر هيكل عظمي بداخل ملابس مهترئة محشورا بين الصخور المنهارة، كأنما سقطت الأحجار فوق شخص ما أثناء محاولته الفرار، فبقي هيكله العظمي مكانه شاهدا على هول ما جرى لصاحبه ذات يوم.

كان من الواضح أن المنجم تعرض لانهيار قبل عشرات

السنين، وأن العشرات كانوا ضحايا لهذا الانهيار، وبعدها لم يحاول إنسان استغلال المنجم أو المكان بعد ذلك أبدا.

تحرك ماجد عائدا من حيث أتى مفضلا السير فوق الرمال المشتعلة عن البقاء في المنجم الرطب المليء بالهياكل العظمية.. وواجهته الشمس اللاسعة الحامية وشعر بالعطش الشديد.. وراوده إحساس الطريدة..

كان لديه إحساس أكيد بأن هناك عينا تراقبه وتحصي خطواته.. ولكن أين هي بالضبط.. ؟وما الذي يدور في ذهن صاحبها ؟.

وكان ذلك هو السؤال !.

راقب البارون جاكسون خلال شاشة تليفزيونية في مكتبه الفخم، طريدته وهي تدور في مساحة شاسعة من الرمال ثم يعود إلى نقطة البدء منهمكة من الجوع والعطش، والشمس قد تحولت إلى جمرة ملتهبة في كبد السماء.

وجاء صوت حاد يقطع صمت الصورة الساكنة قائلا :

ــ أعتقد أن الأوان قد حان للقبض على هذا الماكر.

كان الصوت نسائيا غاضبا.. وأدار البارون وجهه صوب « يولا » التي بدا عليها أنها ترغب في إصلاح خطأ ما.. وقبل أن يجيب البارون بشيء ظهر الكولونيل « موسى » في مدخل حجرة المكتب الفخمة قال : لا يزال أمامنا بعض الوقت حتى نقبض على فريستنا منهكة تماما لا تقدر حتى على رفع أصبع فنأمن شرها تماما.

أرادت يولا أن تقول شيئا، ولكن البارون قاطعها في خشونة وسخرية قائلا :

ـــ لو أنني اتبعت ما تقولان لأسرعنا بالقبض عليه بعد سقوط طائرته.. وأعتقد أن هذا هو ما كان يرغب فيه هذا الغميل الماكر.. فبوسيلة ما اهتدى إلى هذا المكان وتعمد أن يكشف طائرته لإسقاطها.. وبعدها نأسره حيث يظن أن بأمكانه نسف المكان على رؤوس من فيه إذا ما خطا بداخله ولو أسيرا.. ولكنني سأفوت عليه ذلك ولن أمنحه ولو فرصة واحدة في الألف لتحقيق ذلك.

حدق البارون في يولا بوجه متجهم حاد.. كان يحملها الخطأ في كل ما يجري بعد أن خدعها ماجد للمرة الثانية..

ولكن ما كان يخفف عن وطأة خطئها أنها أسرعت إليه بنبأ نجاة ماجدِ وسعيه خلفه في الصحراء الشاسعة.

وجلس الكولونيل موسى واضعا ساقا على ساق، وأشعل سيجارة من علبة ذهبية في جيبه التقط أنفاسها في تلذذ وهو يراقب شاشة التليفزيون في سرور، ويشاهد عدوه وقد أوشك على فقد آخر ما تبقى له من قوة، وغمغم كأنه يحدث نفسه : كان لنجاة هذا المصري من الموت بتلك الحيلة المدهشة أمر رائع حقا، وهو أننا سنحصل عليه حيا فننال ترقية ومكافأة ضخمة من رؤسائنا.

ومال برأسه صوب يولا في تهكم مضيفا : وبالطبع فنحن لن ننسى لك هذا الصنع أيتها الحسناء.. فلولا إهمالك ما حققنا هذا النصر..

وجاوبته يولا بنظرة طويلة تفيض كراهية ثم غادرت المكان غاضبة.. وأطبق البارون شفتيه دون صوت.. كان ثمة إحساس داخله بالقلق لا يدري مصدره، وكان يتمنى لو انتهت تلك العملية سريعا وقد أوشكت أن تتحول إلى كابوس بالنسبة له.

ومر الوقت بطيئا.. وبدا على الكولونيل التلذذ وهو يراقب ماجد الذي أوشك على الانهيار التام بسبب العطش الشديد وحرارة الشمس اللاسعة، وعندما سقط ماجد ممددا على الأرض الملتهبة دون حراك وقد أوشك العطش على قتله، أطلق الكولونيل صيحة ابتهاج ثم نهض وهو يقول : لقد حان الوقت للقبض على الطريدة فقد أعلنت استسلامها التام.

وفي الحال ضغط البارون زرا بجواره، فانفتح جزء من جدار التل الصخري، وأحدثت الحركة صوتا ضعيفا ولكنه كان كافيا ليلفت انتباه ماجد فحدق في التل المتحرك غير مصدق.

وبدا واضحا أن أعداءه كانوا أقرب مما تصور.. وأن ذلك التل يعمل بطريقة ميكانيكية حديثة حيث أمكن تقطيع صخوره ثم إعادة تثبيتها مكانها بعد إيصالها من الداخل بمحركات قوية يمكن أن تزيحها من مكانها بسهولة.

كان الأمر ينم عن عقلية فذة خطط لها أناس لديهم قدرة تكنولوجية عالية.. ولكن ماجد لم يكن لديه من القوة ما يعبر به عن إعجابه بما يراه !.

ومن داخل التل ظهر ما يزيد عن عشرة من الرجال المسلحين بالمدافع الرشاشة وأحاطوا بماجد في صرامة وتجهم، وبرغم إجهاده وشعوره القاتل بالعطش، الا أنه تماسك محاولا ألا يفقد روحه المرحة، فهتف بشفتين يابستين : لقد حان موعد الاستقبال الرسمي أخيرا.. مرحى.. لقد ظننت أن هذه الصحراء لا تحوي غير الزواحف، غير أنني اكتشف أن بعض الكلاب تختبئ فيها أيضاً !.

واندفع أحد المسلحين يفتش ماجد تفتيشا دقيقا، وأخذ ساعته وخاتمه، وحتى حذاءه تفحصه في شك قبل أن يعيده إلى ماجد قائلا وهو يلوح بمدفعه الرشاش : هيا بنا إلى الداخل.. وتذكر أن أي محاولة للخداع لن يكون ثمنها غير رصاصة في قلبك.

انصاع ماجد في صمت للحراس وهو يتساند على أيديهم للوقوف.. وسار بداخل الفوهة التي تكشفت أمامه وكانت تشبه مدخل أحد المناجم المهجورة.

واستمر الجميع في السير وماجد يستند على أذرع حراسه داخل النفق المتعرج الذي انتهى بساحة واسعة انتصبت

في قلبها الطائر الهليكوبتر.. وعلى مسافة منها ظهر المدفع القديم الذي انطلقت منه القنابل لتصيد طائرة ماجد.. وإلى الخلف ظهرت بعض العنابر المتسعة التي كان يذهب ويجيء داخلها عدد من العاملين في المكان وقد وضعوا الكمامات الواقية فوق وجوههم.. وارتصت بجوارهم صناديق مغلقة فوقها رسم لجمجمة وكلمة « خطر ». ولم يكن لدى ماجد شك في أن تلك الصناديق تحتوي على عدد من القنابل والطلقات الجرثومية الفتاكة. وأن المكان كله كان يحصل على طاقته من خلال مولد خاص للطاقة.

وفي أركان المكان الشديد الإضاءة كانت ثمة علامات تحذيرية على الحوائط تشير إلى وجوب ما يفعله العاملون في المكان في حالة أي تسرب للجراثيم وإطلاق صفارات الإنذار وتنص على مغادرة العاملين المكان على الفور من باب الطوارئ.

ثم انتهى السير إلى حجرة فخمة متسعة ذات أساس فخم..

كانت حجرة مكتب البارون الذي جلس خلف مكتبه يدخن في صمت ويداه تعبثان بسكين على شكل فتاحة



للخطابات وهو يراقب مدخل الباب.. على حين وقفت يولا إلى جواره بوجه جامد القسمات شاحب بعض الشيء.

ودفع الحراس بماجد إلى داخل الحجرة فترنح وهو لا يكاد يقوى على الوقوف، وأشار البارون بطرف أصبعه فغادر الحراس المكان.. فاقترب ماجد من أقرب مقعد إليه وهو يقول لشاغلي الحجرة : هل تسمحان لي بالجلوس.. فقد ظللت أسير بلا هدى ساعات طويلة تحت الشمس الساخنة، فإن أحدا في الخارج لم يفكر في وضع مظلات تقي من الشمس ومقاعد ليستريح فوقها من يحبون أن يتجولوا قليلا في تلك الصحراء الرائعة !.

قطب البارون حاجبيه قائلا : أرى أنك لم تفقد روحك المرحة حتى هذه اللحظة بالرغم من أنك أوشكت أن تفقد حياتك عطشا.

وتحسس ماجد شفتيه اليابستين بظهر يده الخشنة الجافة وهو يقول في إعياء : ولماذا تريدني أن أفقد روحي المرحة يا عزيزي البارون.. الأجل أن شخصا ما أسقط طائرتي بطلقات المدافع وتركني في الخارج بضع ساعات فوق الرمال الملتهبة ؟.

غمغمت يولا في غضب حار قائلة : لقد سعيت إلى حتفك بإصرارك على المجيء إلى هذا المكان.

ابتسم ماجد في وهن وشحوب وهو يجيبها قائلا : مرحى يا عزيزتي يولا.. إنني معجب حقا بنشاطك الفائق في تدبيرك وسائل القتل المختلفة لي في كل مرة نتقابل فيها، ولذلك أتيت إليك بإرادتي لكي لا أحرمك من هذه المتعة مرة ثالثة !.

وجزت يولا على أسنانها وهي ترتعد غضبا، ودق البارون حافة مكتبه في غضب حاد قائلا : دعكما من هذا الحوار السخيف فلا وقت لدينا لنضيعه في مثل هذه الكلمات.

وأشار إلى ماجد بطرف سيجاره المتوهج قائلا : أنت.. ما الذي جئت تسعى إليه خلفي ؟.

فابتسم ماجد في إعياء بالغ وهو يجيبه : لقد أخبروني بولعك بالزواج من العجائز الثريات، فجئتك عارضا عليك عروساً رائعة لا يقل عمرها عن التسعين عاما !.

ارتعدت أصابع البارون وهو يلتقط سيجاره.. وغمغم

في حقد وعيناه تشعان كراهية : هذه إهانة لن أغفرها لك أبدا.

وسحق طرف سيجاره المتوهج في منفضة السجائر أمامه وهو يغمغم قائلا : ما الذي تعرفه حكومتك عني.. أخبرني فقد يخفف تعاونك معي من العقاب الذي ينتظرك في النهاية على يدي.

ولكن ماجد لم يبد عليه أنه تأثر بالتهديد وقال في سخرية : .

ــ سوف أخبرك يا عزيزي ليس خوفا من تهديدك بل لأنني أرغب في بعض الثرثرة بعد ذلك الوقت الطويل الذي قضيته وحيدا في تلك الصحراء الشاسعة.

ومد يده يفتح ثلاجة صغيرة في المكان والتقط منها زجاجة ماء مثلجة احتساها جرعة واحدة، ثم مسح شفتيه بظهر يده الخشنة قائلا : إن هذا يجعلني أكثر تعاونا.

ومال برأسه مضيفا وقد استعاد بعض حيويته : والآن ما الذي تريد أن تعرفه عني ؟.

غمغم البارون في عصبية : كل شيء.. كل شيء.

هز ماجد كتفيه قائلا في لهجة خبيثة : حسنا.. إن الجميع عندنا يعرفون ولعك بالنساء العجائز، ومن ثم فالجميع يشفقون على تلك الحسناء ذهبية الشعر « يولا » لأنك لن تنتبه لمشاعرها يوما ما، إلا بعد أن تتجاوز هي الثمانين من عمرها.

شحب وجه يولا كأنها تلقت صدمة، وهب البارون واقفا في ثورة صائحا : أيها الأحمق المخادع.. كف عن المراوغة فهي لن تفيدك بشيء..

واستل مسدسا من درج مكتبه صوبه إلى رأس ماجد وهو يقول : أخبرني بكل ما تعرفه وإلا أفرغت رصاصاتي في رأسك.

ولكن ماجد أزاح ذراع البارون في سخرية ودون اهتمام، ومال برأسه للأمام قائلا وعيناه تعكسان أقصى قدر من السخرية : لا أظن أنك قادر على إطلاق رصاصة واحدة علي.. هل تعرف لماذا ؟.

غمغم البارون بشفتين جافتين : لماذا ؟.

لمعت عينا ماجد بمزيد من السخرية وهو يجيب البارون قائلا :

ـــ ذلك لأنهم لن يتهاونوا معك هذه المرة وربما تدفع رأسك ثمنا لمخالفتك أوامرهم.. لأنهم يريدونني حيا. وأنت لن تجرؤ على مخالفة أوامرهم هذه المرة.

غمغم البارون وهو يرتعد : من هم.. من تقصد ؟.

أشار ماجد بيده صوب الباب دون أن يلتفت نحوه قائلا : إنهم ضيوفك يا عزيزي.. رجال الموساد الأعزاء، الذين خططوا لسقوطي في هذا المكان وتركوك تنعم وحدك بشرف استقبالي.

أدار البارون عينيه صوب الباب فشاهد ضباط الموساد الثلاثة واقفين بوجوه مقطبة وأيديهم بداخل جيوبهم.. أقرب ما تكون إلى مسدساتهم..

وانهار البارون فوق مقعده بوجه شاحب مغمغما : إذن فإن حكومتك تعرف كل شيء عني وعن حقيقة من يتعاونون معي ؟.

ونطقت شفتا الكولونيل موسى في صوت بارد حاد قائلا : إن تلك المراوغة لن تفيدك بشيء يا رقم ( ٧٠٠ ).. فقد تقرر مصيرك منذ وقت، ولن تفيد أي مناورة في تغيير هذا المصير.

أدار ماجد رأسه صوب الباب وعيناه مشتعلتان بالحمى من حرارة الشمس التي ترك تحتها طويلا.. وعندما وقعت عيناه على ضباط الموساد الثلاثة رفع حاجبيه بطريقة ساخرة قائلاً : مرحبا بالجرذان الثلاثة الذين وافتهم الشجاعة ليظهروا أنفسهم أخيرا.. ولكن كنت متأكدا من وجودكم قريبا.

ومال برأسه تجاه ضباط الموساد الثلاثة في تهكم مواصلا : هل تعرفون لماذا كنت متأكدا من وجودكم قريبا ؟.

وسد أنفه بأصابعه في حركة تمثيلية مجيبا على سؤاله في وهن كما لو كان موشكا أن يفقد وعيه : ذلك لأن رائحتكم القذرة كانت تكشف وجودكم في هذا المكان رغماً عنكم.. ولسوء حظكم فإن أنفي حساس لكل أنواع القاذورات.

اندفع الكولونيل موسى صوب ماجد وهو يهدر كذئب جريح وقد أشعل الغضب عينيه فبدتا كأنهما ترسلان شررا وقد أشهر مسدسه في يده مغمغماً بصوت كريه: أيها القذر.. لسوف تدفع ثمن إهانتك غاليا.

ولكن الأمر حدث في غمضة عين.. وأسرع مما يتخيل أي إنسان فقد قفز ماجد من مكانه، وبدا كأنما سرت في عروقه قوة غير مرئية.. وطارت قدمه في لمح البصر لتطيح بمسدس الكولونيل ويلتقطه بيده اليمنى، وفي نفس اللحظة امتدت يده اليسرى لتطبق على رقبة الكولونيل من الخلف بقيد فولاذي.. ودس ماجد فوهة المسدس في رقبة البارون وهو يقول في غضب وقد بدا عليه أنه استعاد كامل قوته والآن فليحاول أحدكم إظهار أي قدر من البطولة لأفرغ الرصاص في رقبة هذا القذر.

تحركت أصابع رجال الموساد الآخرين نحو مسدساتهم بحركة غريزية، ولكن الكولونيل صرخ فيهم في ذعر: توقفا أيها الغبيان وإلا نفذ هذا الثعلب تهديده.

فتراخت أيدي ضابطي الموساد، وشدد ماجد ضغط

ساعده على رقبة الكولونيل موسى قائلا : ألم أخبرك أنكم جميعا مجموعة من الفئران الجبانة.. ومن المؤسف أنه ينقصكم الذكاء أيضا، فهل ظننتم أن مجرد بقائي تحت وهج الشمس كفيل بأن يبدد قواي إلى هذا الحد أيها الأغبياء.. ولكن تلك الخدعة جازت عليكم وظننتم أنكم حصلتم على ثعلب مريض موشك على الموت.. وهأنذا أثبت لكم مدى غبائكم.. وأيضاً كان من السهل اثارتكم وإغضابكم لتفقدوا حذركم ويقوم أحدكم بعمل طائش يقلب الأمور، ومن حسن الحظ أن من وقع في قبضتي هو هذا الكولونيل الأحمق الثرثار.

وأشار ماجد برأسه صوب الباقين مضيفا : والآن دعوني أغادر المكان مع هذا الوغد.. وبالطبع فإن الباقين سيغادرونه أيضا..لأنني أنوي أن أحول هذا المكان إلى كومة من الصخور والحجارة قبل أن أغادره، حتى لا يستفيد أحد من تلك القنابل القذرة بداخله، التي ستدفن تحت آلاف الأطنان من الحجارة.

تبادلت يولا مع البارون نظرة سريعة حذرة.. لم يكن

مع أي منهما أي سلاح. وكانت حركتها مكشوفة لماجد.. وأي محاولة منهما قد يسبقها إطلاق ماجد للرصاص عليهما.

ولوح ماجد بمسدسه صوب الجميع هاتفا : والآن ليلق كل منكم سلاحه على الأرض، فقد مللت النظر إلى وجوهكم.

وفي أصابع مرتعدة التقط ضابطا الموساد مسدسيهما وأخرجاهما من جيوبهما ثم ألقياهما على الأرض، والتقط البارون مسدسه أيضا وألقاه على الأرض وعيناه تشعان غضبا حارقا.

وانحنت يولا لتلتقط مسدسها الصغير الذي كانت تخفيه تحت حزام جوربها.. بهدف وضعه على الأرض ولكنها بحركة سريعة بارعة التقطت أصابعها زجاجة المياه الفارغة التي شربها ماجد منذ لحظات، ورفعتها عالياً ثم هوت بها فوق رأس ماجد من الخلف.

وتهشمت الزجاجة في صوت حاد.. وشعر ماجد بالمرئيات تتراقص حوله، وبأن ثمة سائلاً لزجاً يسيل من مؤخرة رأسه..

وتهاوى بعدها على الأرض فاقدا الوعي.



## خيانة

مضى وقت طويل قبل أن يشعر ماجد بما حوله مرة ثانية. كان هناك إحساسا حاد بالألم في مؤخرة رأسه، والمرئيات تتراقص أمامه في تشوش عجيب.

ومد يده يتحسس مكان الألم فمست أصابعه السائل اللزج المتجمد المختلط بشعره وتنبه على الفور وقد استعادت ذاكرته كل التفاصيل سريعا.

فتح عينيه فطالعته العتمة حوله.. كان ملقى في زنزانة ضيقة لها رائحة مقبضة، ودقق النظر حوله فلمح بابا حديديا له كوة من القضبان المتشابكة، وإلى اليسار كان ثمة فراش معدني خشن لا شك أنه تقلب من فوقه على الأرض أثناء غيابه عن وعيه.

وتحامل ماجد على نفسه ونهض.. واعتادت عيناه شيئا

فشيئا على الظلام.. ولمح زرا كهربائيا في الحائط ضغط عليه فأضيئت لمبة شاحبة مدلاة من سلك طويل في السقف بددت عتمة الزنزانة.

وغمغم ماجد لنفسه : لا بأس حتى الآن.. لا تنقصني غير مشاهدة محطة ال ( C.N.N ) لتكتمل متعتي !.

وانحرفت عيناه إلى ساعته ولكن ساعته لم تكن مكانها.. وفكر ماجد مقطبا، ترى كم من الوقت مر عليه وهو فاقد الوعي ؟.

كان بقاؤه في تلك الزنزانة يعني شيئا وحيدا، وهو أن ضباط « الموساد » لا يزالون داخل المصنع، وأنهم لم يغادروه مع القنابل وإلا ما تركوه داخل تلك الزنزانة. وعندما تذكر « يولا » همس في غضب :

هذه الماكرة اللعينة.. إنها مولعة بمحاولة إيذائي دائما.

واقترب من كوة القضبان المتشابكة صائحا : هل يوجد أحد هنا ؟.

وجاوبته فوهة بندقية سريعة الطلقات ظهرت عبر الكوة، وخلفها وجه حاد الملامح يتفرس فيه بغضب، وتظاهر ماجد

باللامبالاة وهو يقول في صوت آمر : إنني جائع.. ألا يوجد أي طعام هنا ؟.

فأجابه الحارس المسلح من خلف الباب المغلق : لا يوجد لدي غير بضع رصاصات.. فهل ترغب في إحداها ؟.

أدرك ماجد أن الحارس لديه أوامر صارمة بشأنه.. فاستدار مفكرا كيف يغادر ذلك المكان وهو سجين بداخله مثل وحش حبيس ؟.

* * *

تأمل ضباط الموساد الثلاثة صفوف القنابل المتراصة.. كانت مختلفة الأحجام والأنواع، وفوق كل منها عبارة تفيد نوعها.

وتأمل الكولونيل إحداها وهو يقول : هذه قنبلة خردل.. ويمكن إطلاقها داخل قذيفة مدفع.

أكمل البارون : إن قنبلة واحدة منها كفيلة بأن تقتل الآلاف في دائرة قطرها يزيد عن بضعة كيلومترات.. فهذا الغاز سام جدا.. وقد استخدمته ألمانيا في حربها العالمية الأولى.

هز شارون رأسه وابتسامة خبيثة تتلاعب فوق شفتيه.. وتأمل قنبلة أخرى أصغر حجما فقال البارون شارحا : هذه قنبلة جرثومية، وواحدة منها فقط إذا ما أطلقت على مدينة يسكنها عشرات الألوف من البشر، فهي كفيلة بقتلهم بأنواع شتى من الأمراض الخبيثة الرهيبة.

كان المكان ممتلئا بالقنابل حتى نهاية القاعة العريضة، وغمغم ديفيد وهو يهز رأسه في رضى قائلا : إنتاج رائع.. إنك لم تضيع الوقت هدرا يا سيدي البارون.

قطب البارون حاجبيه في قلق قائلا : إنني أرغب في الانتهاء من هذا العمل، فأنا لا أريد المزيد من المشاكل، فلا شك أن حكومة هذا العميل المصري لن تكف عن إزعاجي بعد انقطاع أخبار عميلها عنها، وتأكدها أن الموساد بالذات هي العميل الأول لإنتاج هذا المصنع.

وأضاف بعد لحظة : إنني أفكر في إغلاق المصنع بعد أن تتسلموا شحنتكم.

تبادل الضباط الثلاثة النظرات الحذرة وقال الكولونيل في بطء : لقد صار قلبك ضعيفا أيها البارون.. وعملنا يتطلب جرأة فائقة.

البارون : إنني على وشك دخول مجلس الشيوخ وسيكون موقفي دقيقاً في حالة اكتشاف حقيقة هذا المصنع، وخاصة أن الحكومة المصرية فيما يبدو على علم بكل شيء، وهم لن يسكتوا قبل أن يفضحوني، أو ربما يحاولون التخلص مني في المرة التالية.

وغمغم في توتر : هذا المصنع كان غلطة.. ويجب إصلاحها في الحرب فقط.

وجاوبه شارون في صوت عميق : إن شيئا مثل هذا لن يسعد حكومتنا على الإطلاق.

واستدار إلى البارون مضيفا : لقد أنفقنا الملايين عليك وعلى مشروعك والآن ترغب في الانسحاب هكذا بكل بساطة ؟.

غمغم البارون في قلق : إنني مستعد لأن أترك لكم كل شيء..

ولكن أحد الضباط الثلاثة لم ينطق بكلمة.. وحلق صمت متوتر فوق الرؤوس.. وتناول الكولونيل صندوقا مليئا بالذخيرة ليتفحصه فقال البارون شارحا : هذه الطلقات

مكونة من مادة بلاستيكية بداخلها مواد كيماوية وجرثومية خاصة، وتلك المادة البلاستيكية لها قساوة الصلب. مما يسمح لها باختراق جسد من تصيبه ثم تنفجر الطلقة بعدها داخل جسده، وتسري المواد الكيماوية والجرثومية بداخلها في دماء الضحية، فتسبب له حالة رهيبة من الآلام والتشوهات التي تقضي عليه في النهاية، دون أن يتمكن أي علاج من التخفيف من آثارها.

غمغم الكولونيل وعيناه تتألقان بوميض عجيب : إنه سلاح رائع.. أتمنى لو أنني قمت بتجربته.

تلفت البارون ببعض القلق حوله كأنه يبحث عن شيء خاص، ولاحظ الكولونيل قلق البارون فقال له : لقد ذهبت حسناءك للنوم، فقد قالت أنها تشعر ببعض الإرهاق وترغب في الحصول على بعض الراحة.

همس البارون في صوت أقرب إلى الإعياء : وذلك العميل المصري، ماذا ستفعلون به ؟.

أجابه الكولونيل وهو يتفحص نوعا آخر من الطلقات الكيماوية والجرثومية : لا يشغلك أمر هذا العميل كثيرا

فنحن نعرف كيف نتعامل معه جيدا، فسننقله إلى بلادنا مع القنابل، وهناك سيعرف بقية رجالنا كيف يتكفلون به جيداً، ويقنعون رؤسائهم ألا يتدخلون في شؤوننا مرة أخرى.

ثم قطب حاجبيه وهو يتأمل الطلقات : إنها رائعة.. فكل واحدة منها تحتوي على خليط من المواد الكيماوية السامة والجراثيم القاتلة : وهي تنفجر في جسم من تصيبه وتسبب له آلاما رهيبة قبل أن تحدث له شللا بعد بضع ساعات ثم الموت بعد ذلك. وأضاف في صوت مخيف وهو يحدق في البارون : وليس هناك علاج على وجه الأرض يمكن أن يفيد من تصيبهم هذه الرصاصات.

رطب البارون شفتيه الجافتين بلسانه، وتساءل بعد لحظة : متى ستصل طائراتكم الهليكوبتر للحصول على القنابل ؟.

أجابه شارون وهو يلقي نظرة إلى ساعته : بعد ست ساعات في منتصف النهار تماما.

ووضع يده فوق كتف البارون مضيفا : نحن أيضاً متعبون ونرغب في الحصول على بعض الراحة.. هيا بنا

إلى حجرة مكتبك.

خطا البارون صوب حجرة مكتبه.. كانت حاسته تشعره بخطر شديد يحيط به.. وكان من المؤكد له أن مصدر الخطر هو ضباط الموسادة الثلاثة، فقد كان في حديثهم شيء ما غير مريح على الإطلاق.

واستقر البارون خلف مكتبه على حين جلس ضباط الموساد الثلاثة أمامه.. وتحسس أصابع البارون في حذر مسدسه المختفي في درج مكتبه ومسه تأهبا. ولكن صوت الكولونيل الذي جاءه شله من الحركة:

ـــ أنت واحد ضد ثلاثة.. ولا أمل لك على الإطلاق !.

شلت أصابع البارون فوق سلاحه، وغمغم بوجه شاحب : ماذا تعني بذلك ؟.

وشاهد ثلاثة مسدسات مصوبة إلى رأسه، وامتدت يد ديفيد الأخرى لتستولي على مسدسه، ثم لطمه بمؤخرة المسدس فوق رأسه، فتهاوى البارون على الأرض وهو يئن من الألم الشديد.

ولوح الكولونيل بمسدسه في غضب حاد قائلا : هل اعتقدت أنك ستخدعنا.. يبدو أنك أسأت الظن بنا كثيراً أيها البارون.

غمغم البارون في ألم : أنا لم أكن أقصد شيئا.

مط شارون شفتيه في استياء قائلا : لقد صرت مصدرا للمتاعب لنا أيها البارون بدلا من أن تكون ذراعنا اليمنى.. فقد أصابك الخوف وصرت ترتعش لأقل سبب لتحدث لنا المتاعب وتهدد بإفشال نجاحنا السابق وخسارة كل ما فعلناه لأجلك.

غمغم البارون في توتر بالغ : أنا كنت سأنسحب في هدوء.. إن مركزي ومنصبي القادم لن يسمح لي أن...

قاطعه الكولونيل في خشونة قائلا : أرأيت.. لقد صرت تخشى على نفسك ومركزك القادم ونسيت أنه لولا مساعدتنا ما حصلت على شيء من ذلك.. والأكثر من هذا أنك صرت تعصى أوامرنا فأردت قتل هذا العميل المصري غرقا بدلا من أن تسلمه لنا.. والآن أنت تريد إغلاق هذا المصنع بعد أن أنفقنا عشرات الملايين على إنشائه في سرية تامة.

هتف البارون في جزع :

ــ خذوا كل ما تريدون.. هذا المصنع بكل ما فيه.. أنا لا أريد منه شيئا.

أجابه الكولونيل في صرامة كما لو أنه يقرر أمرا واقعا :

ــ لقد تقرر هذا بالفعل.. فقد صار هذا المكان ملكا لنا منذ هذه اللحظة.. ولحسن الحظ أن أغلب العاملين فيه لن يدفعهم الفضول للسؤال عن مالك المكان الجديد ما داموا يقبضون مرتباتهم كاملة في نهاية كل شهر.

وأكمل شارون : وهو أمر بالغ الخطورة والسرية كما ترى.. فنحن عادة نميل إلى كتمان أسرار الأشياء التي نملكها أو الخطط التي نرسمها.. ومن ثم فوجود شخص غريب يعرف الكثير عن هذه الأسرار والخطط قد يكون مصدر خطورة علينا.

صاح البارون بعينين واسعتين : ماذا تعني بذلك ؟.

صوب الكولونيل مسدسه إلى رأس البارون مجيباً : إن الإجابة الوحيدة لدي.. هي رصاصة في رأسك.

ولكن وقبل أن يضغط الكولونيل على زناد مسدسه، جاء صوت من مدخل الحجرة يقول في حسم وغضب : مكانك أيها القذر.. لا يتحرك أحدكم من مكانه.

التفت الكولونيل بعينين ضيقتين متجهمتين واستدار ضابطي الموساد الآخرين.. وفي مدخل الحجزة كانت يولا واقفة وقد صوبت بندقية سريعة الطلقات إلى الضباط الثلاثة.

جمد الرجال الثلاثة مكانهم وأتاهم صوت يولا الساخر : كان لدي شك بشأنكم، فمنذ اللحظة الأولى التي رأيتكم فيها تأكدت أنكم لستم من الصنف الذي يمكن الوثوق فيه، وأنكم تدبرون لشيء ما، ومن ثم كان علي أن أبقى متيقظة وفي تمام الانتباه للتدخل في اللحظة المناسبة.. وها هي تلك اللحظة قد حانت سريعا.

وأكملت في صوت أمر غاضب : ألقوا أسلحتكم على الأرض أيها الأوغاد.

ترامق الضباط الثلاثة، ثم ألقوا بمسدساتهم، وفي اللحظة ذاتها قفز البارون من مكانه بسعادة غامرة صائحا : أنت

رائعة يا يولا.. لقد أتيت في اللحظة المناسبة.

واندفع البارون من أمام الضباط الثلاثة صوب « يولا ».. وكان فيما فعله غباء شديد.. فقد امتدت ذراعا الكولونيل لتطبقا على رقبة البارون من الخلف، وبحركة غريزية تحرك أصبع يولا فوق زناد بندقيتها السريعة، فانطلقت منها بضع طلقات سريعة متلاحقة رغما عنها لتستقر في صدر البارون !.

وجحظت عينا البارون وأراد أن يقول شيئا.. ولكنه سرعان ما تهاوى بين ذراعي الكولونيل مخضبا بالدماء دون حراك.

وأصاب الذهول يولا لما حدث... ثانية واحدة.. ولكنها كانت كافية لكي ينقض عليها شارون وديفيد، وأطاح أولهما بالمدفع الرشاش من يديها، وعاجلها الثاني بلكمة عنيفة في معدتها، فتهاوت يولا على الأرض تئن من الألم الشديد.

والتقط رجال الموساد أسلحتهم مرة أخرى وقد تبدل الموقف وزحفت يولا نحو جثة البارون الغارقة في الدماء، واحتضنته وهي تشهق ببكاء حار صارخة : لا يمكن أن

تكون قد مت يا جاكسون، وأكون أنا من قتلتك.. لا يمكن أن أكون السبب في موتك.

ودفنت وجهها في صدره الغارق في الدماء.. وبصق الكولونيل على الأرض في سخرية قائلا : يا للمشهد المؤثر.. إنني لن أنسى ما حييت هذا المشهد أبدا.

وأخرج شيئا من جيبه دسه في خزينة الرصاص في مسدسه وهو يضيف : ولن أنسى المشهد التالي الذي سأراه بعد لحظة.. فسوف يكون أكثر تأثيرا بكل تأكيد.

وتنبهت يولا لما فعله الكولونيل.. وحدقت فيه بعينين مذعورتين وهو يضيف قائلا : لقد احتفظت برصاصة كيميائية جرثومية معي، فقد كان يخالجني شك أنني سأستعملها سريعا.. وسنرى الآن إن كان تأثيرها كما أخبرنا عزيزنا البارون الراحل أم لا !.

وصوب الكولونيل مسدسه إلى ذراع يولا قبل أن تتمكن من أن تفعل شيئا.. ثم أطلق الرصاص !.

## هُروب

صرخت يولا صرخة حادة عالية متوحشة.. وظهر ثقب في ذراعها الأيسر، ولكنها قفزت من مكانها وقد أصابها ما يشبه الجنون، واندفعت نحو الكولونيل فلطمته بقبضتها في وجهه وهي تصرخ فيه: أيها الوحش القذر.. أيها السفاح.

ولكن الكولونيل دفعها بقسوة للخلف، فأرتطم رأسها بحافة المكتب ثم تهاوت على الأرض وهي تئن من الألم الشديد وقد بدا عليها الإعياء البالغ كأنها ستفقد وعيها.

ولكنها انتفضت فجأة كأنما مسها تيار كهربائي.. واتسعت عيناها عن آخرهما وراح جسدها يرتعش بطريقة عجيبة.. وخلال ثوان ظهرت بقع حمراء داكنة فوق ذراعيها ووجهها، سرعان ما انتشرت في جسدها كله.. وتقلص

وجهها بطريقة مؤلمة وجحظت عيناها عن آخرهما..

تراجع الضباط الثلاثة إلى الخلف وهم يحدقون في ضحيتهم بأنفاس لاهثة.. كان المشهد الذي يجري أمامهم بشعا.. ولكن قلوبهم لم تدق شفقة للضحية المسكينة التي راحت المواد الكيميائية والجرثومية تفعل فيها فعلها.

وأطلقت يولا عواء رهيبا وهي تتلوى على الأرض، وصرخت بصوت متحشرج رهيب : ماذا فعلتم بي أيها الشياطين.. إنني أكاد أموت.

وعندما وقع بصرها في المرآة القريبة على منظرها أصابها الجنون.. تحول جمالها الفائق إلى شيء بشع فوق التصور.. وصرخت يولا صرخات ملتاعة وهي تتلوى على الأرض.. ثم تشبثت بساق الكولونيل وهي تتوسل إليه في ألم مميت قائلة : ماذا تنتظر.. ؟ هيا اقتلني لتريحني من آلامي الرهيبة ومنظري البشع.

صوب شارون مسدسه نحو رأس يولا، ولكن الكولونيل موسى أمسك بذراعه قائلا : سيكون في موتها بعض الراحة لها.. فلماذا لا نتركها تعاني العذاب بعض الوقت ؟.

صرخت يولا في جنون : أيها الوحش.. أقسم أن أقتلك.

والتقطت خنجر فتاحة الخطابات من فوق المكتب، وهوت به فوق ذراع الكولونيل.. وصاح الكولونيل في صوت حاد والنصل اللامع يخترق ذراعه.. وانطلقت رصاصة من مسدسه أصابت ذراع يولا، فترنحت ثم تهاوت على الأرض لاهثة.

وأسرع الكولونيل ينتزع الخنجر من ذراعه، وصرخ في ضابطيه : خذوا هذه الذئبة إلى الزنزانة.

فتساءل شارون في دهشة : ولماذا لا ننتهي منها برصاصة في قلبها ونلقي جثتها بعيدا ؟.

أجابه الكولونيل في حنق : أيها الغبي.. إنهم هناك في بلادنا سوف يصيبهم غضب حاد إذا علموا أننا تخلصنا من هذه الذئبة وألقيناها لوحوش الصحراء بعد موتها، فلا شك أنه من المهم لهم فحص جثتها بعد موتها ليشاهدوا تأثير تلك الغازات والجراثيم على الجسم البشري.. أم ترى أنني احتفظت بها حية حتى الآن اعتباطاً ؟.

غمغم ديفيد في اقتناع : أنت على حق يا سيدي.

وغاب لحظة خارجا ثم عاد ومعه عدد من الحراس حملوا يولا إلى نفق طويل انتهى بباب الزنزانة المغلق، وأشار ديفيد للحارس ففتح الباب، وألقى بيولا إلى الداخل ثم أعاد إغلاقه.

وحدق ماجد في ذلك الكيان البشع الراقد في ركن الحجرة غير مصدق ما يراه..

انكمشت يولا على نفسها وذراعها تنزف، وجسدها قد أمتلأ بالتقرحات القبيحة وشعرها بدأ في التساقط.

وغمغم ماجد في ذهول : أنت.. ؟ مستحيل أن تكوني قد تحولت إلى مثل هذه الصورة البشعة.

زاد انكماش يولا وانهمرت الدموع من عينيها وقالت : لقد قتلت البارون دون أن أقصد.. وأطلق عليَّ وحوش الموساد إحدى الطلقات الكيميائية والجرثومية.. لقد انتهى كل شيء.. انتهى كل شيء.

وراحت تنتحب بشدة، فأغمض ماجد عينيه لبشاعة المشهد أمامه، وزحفت يولا إليه متوسلة وهي تقول له : أرجوك اقتلني.. اقتلني لتريحني من آلامي الرهيبة.

ولكن ماجد هز رأسه في ألم قائلا : لا أستطيع.. لا أستطيع..

دفنت يولا وجهها بين كفيها في انتحاب مرير قائلة : إنني استحق كل ما جرى لي.. فقد كنت همزة الوصل بين البارون وهؤلاء الشياطين في الموساد، وهأنذى أدفع الثمن في النهاية.. لم أكن أتخيل أن نهايتي ستكون بشعة إلى هذا الحد.

واجهها ماجد في بعض القسوة :

ــ ألم تفكري لحظة واحدة في أن مثل هذه القنابل القذرة والرصاصات اللعينة سوف تصيب أبرياء وتصنع بهم ما حدث لك ؟.

نهنهت يولا باكية في حرقة قائلة :

ــ لقد كنت غبية ومجنونة، وكل ما أردت الحصول عليه هو المال وقلب البارون ولم أفكر في أي إنسان آخر.. ولكن كل ذلك قد ضاع الآن.. وهؤلاء الوحوش سيحصلون في النهاية على جثتي ليأخذوها معهم إلى بلادهم ليقوموا بدراسة تأثير هذه الأسلحة القذرة على الجسم البشري..

هؤلاء الملاعين الذين لا رحمة في قلوبهم، إنهم حتى لم يسمحوا لي بالموت لأرتاح من آلامي.

ودقت الحائط في وحشية صارخة : إنني أتمنى لو انتقمت منهم جميعا واتسع لي الوقت لذلك.

ثم انهارت في ركن الزنزانة تنتحب في مرارة.. وشعر ماجد بالإشفاق البالغ على يولا، ولكن ماذا كان باستطاعته أن يفعل لها وهي تخطو إلى نهايتها البشعة ؟

ودارت في رأسه فكرة جنونية، فاقترب من يولا ثم همس يقول لها في رفق : هل ترغبين حقا في الانتقام من هؤلاء الوحوش ؟.

فتألقت عيناها ببريق دموي وقالت : إنني ميتة على أي حال.. والانتقام سيخفف كثيراً من آلامي.. سوف يقبض الشيطان روحي فلأحصل على الثمن على الأقل.

ضاقت عينا ماجد إلى حد بالغ وقال :

ـــ إذن فلنعقد صفقة.

ـــ صفقة ؟.

غمغمت يولا بالكلمة في دهشة ثم انفجرت في هيستريا ضاحكة.. وراقبها ماجد صامتا حتى توقفت بغتة وحدقت فيه بوجه مخيف ثم قالت له في صوت كريه: أي صفقة تلك وأنت سجين هذه الزنزانة القذرة ؟

أجابها ماجد في صرامة دون أن يطرف جفنه :

ــ لا تهتمي بشأني فأنا أعرف جيدا كيف أغادر هذا المكان وستكونين معي.. فقد كنت أنتظر اللحظة المناسبة لذلك.

تألقت عينا يولا عندما طاف بذهنها ذلك الخاطر، وأكمل ماجد في صوت بارد عميق : ولست أطلب منك غير مساعدتي في منع وصول هذه القنابل للموساد ودفنها في هذا المكان إلى الأبد، ومقابل ذلك سأترك لك ضباط الموساد الثلاثة تفعلين بهم ما تشائين.

ظهر بريق وحشي على وجه يولا المليء بالبثور والتقرحات المخيفة، وقالت في صوت كالفحيح : إنني على استعداد لأن أفعل أي شيء للانتقام من هؤلاء الوحوش.

نهض ماجد وهو يقول :

ـ حسنا.. اتفقنا.. والآن راقبيني لتري كيف سنغادر هذا المكان.

وأطفأ ماجد نور الحجرة فسادها ظلام دامس كأنما غرق سجيناها في نوع عميق.. وتوقف ماجد في منتصف الحجرة، ثم قفز لأعلى فأمسكت يده بلمبة السقف الساخنة المدلاة لأسفل، فجذبها ماجد بعنف، فانخلعت مع السلك الكهربائي وصارت في قبضته.

وانتزع ماجد اللمبة من مكانها، وغطى أصابعه العارية بطرف ملابسه .ثم جذب الغطاء البلاستيكي الذي يحمي الأسلاك العارية التي تسري فيها الكهرباء، فانتزعها من مكانها وصار السلك مكشوفا.

وهكذا صار يمتلك سلاحا قويا. وهمس يقول ليولا : والآن اصرخي قدر ما تستطيعين كأنك موشكة على الموت.

انطلقت يولا تصرخ في جنون صرخات مريعة.. وفي الحال أطل وجه الحارس من الزنزانة في دهشة بالغة متسائلا : ماذا يجري هنا ؟.

أجابه ماجد : إنها السجينة المصابة.. يبدو أنها موشكة على الموت.

ولم يكن الحارس من مكانه خلف الكوة الحديدية يستطيع مشاهدة يولا جيدا، ففتح باب الزنزانة وهو يقول : حسنا.. إنها ستموت على أي حال.. ومن الأفضل أن تموت الآن لتريحنا من هذا الإزعاج.

وخطا داخل الزنزانة مصوبا بندقيته إلى يولا.. ومن الركن ألقى ماجد بالسلك الكهربائي العاري فوق ذراعي الحارس الذي صرخ بصوت حاد ودفعته صاعقة الكهرباء لأن يرتطم بالحائط بشدة ثم يتمدد تحته بلا حراك.

هب ماجد واقفا وصاح في يولا : لقد كسبنا الجولة الأولى.. هيا بنا.

وتسلل الاثنان خارجين من الزنزانة بعد أن تسلح ماجد ببندقية الحارس، ثم أغلق الزنزانة خلفه وشرع في السير إلى قلب النفق ليواجه الموت في ذلك المكان.

* * *

# نهاية دامية

وقبل أن يغادر الاثنان النفق الطويل، ظهر في نهايته اثنان من الحراس، ما أن شاهدا ماجد ويولا حتى شهرا أسلحتهما، وصاح أحدهما في صوت غاضب : ماذا تفعلان هنا، وكيف هربتما من الزنزانة ؟.

وجاوبه ماجد ببضع طلقات أطاحت به وزميله، واندفع جاريا مع يولا- وهو يقول لها : سوف يكشف صوت الرصاص عن هربنا.. فلنسرع بالاختباء قبل وصول مزيد من الحراس.

وتوارى الاثنان خلف أحد الأبواب، وشاهدا عددا من الحراس يهرعون في كل اتجاه، وبعد لحظة صاح أحدهم : لقد هرب السجينان.

وعلا صوت غاضب يقول : اقبضوا عليهما بأي ثمن.

كان صوت الكولونيل موسى، وقالت يولا في أسى وألم : لن نتمكن من أن نفعل شيئا.. إنهم بالعشرات حولنا ولن نستطيع مقاومتهم.

ولكن عقل ماجد كان مشغولا بشيء آخر.. فالتقطت عيناه اللمبة الحمراء المثبتة قريبا والتي كان المفترض أنها ستشتعل وينطلق تحذير إذا ما حدث تسرب كيميائي أو جرثومي، وسأل ماجد يولا هامسا : ما هي الكيفية التي تنطلق بها صفارات التحذير من حدوث التسرب ؟.

فأجابته وهي توشك أن تفقد وعيها لشدة الإعياء : هناك فتحات صغيرة أسفل تلك اللمبات الحمراء لقياس مكونات الهواء باستمرار، وفي حالة اختلاف هذه المكونات التي تلتقطها الفتحات وتحللها بالداخل عن الهواء العادي، فإنها تطلق إشارات التحذير.

غمغم ماجد : رائع.

والتفت إلى يولا متسائلا : هل لديك زجاجة عطر ؟.

أجابته بهزة من رأسها وأخرجت من جيبها زجاجة عطر صغيرة تعمل بواسطة الرش.. فاقترب ماجد من إحدى

فتحات قياس الهواء، وأفرغ محتويات الزجاجة بداخل الفتحة، فسألته يولا ذاهلة : ما الذي تفعله ؟.

أجابها باقتضاب : سوف تفهمين كل شيء حالاً.

وما كاد يتم عبارته حتى دوى صوت صفارة عالية والتمعت اللمبة الحمراء.. وعلا صوت آلي مسجل يقول في لهجة عميقة : انتباه.. انتباه.. حدث تسرب كيميائي.. على الجميع مغادرة المكان فورا للنجاة بحياتهم.

ابتسم ماجد في ثقة.. فقد استطاع خداع أجهزة تحليل الهواء والقياس.. وكل ما فعله أنه منحها رذاذا مكونا من تركيبة كيميائية ليست هي العناصر المكونة للهواء العادي. وحدقت فيه يولا ـ بذهول دون أن تنطق بشيء، وقد رأت أي رجل محترف قد ساقه القدر إليها.

وتعالت ضجة وجلبة الموجودين في المكان، وشرعوا مهرولين في كل اتجاه طالبين النجاة، والصوت الآلي لا يزال يطلق تحذيره.. وعلا صوت الكولونيل موسى وهو يصرخ في أحد الميكروفونات في العاملين المذعورين : ابقوا مكانكم.. لم يحدث أي تسرب كيميائي.. هناك خطأ

ما بكل تأكيد.

ولكن العاملين في المكان استمروا على هرولتهم ليغادروا المكان مرتعبين.

ومال ماجد صوب يولا متسائلا : هل يمكنك أن تقودينا إلى طريق مختصر يصل إلى الهليكوبتر ؟.

فتحت يولا عينيها في مشقة، كان من الواضح إنها تعاني من آلام رهيبة وأن الموت يتسلل إليها في بطء.. ولكنها تمالكت ما تبقى لها من قوة وهمست لماجد : اتبعني.

وسارت مترنحة تستند إلى الحائط عبر ممر طويل مظلم، وحاول ماجد أن يمد لها يد المساعدة ولكنها ابتعدت عنه قائلة في صوت واهن : لا تلمسني.. فقد تنتقل إليك نفس العدوى باللمس.

وانتهيا إلى قاعة عريضة متسعة كانت تقع على مقربة من مدخل المكان.. وقد استقرت الطائرة الهليكوبتر في دائرة بمنتصفها تماما.. وفي الركن كان المدفع الأثري راقدا وجاهزا للعمل في أي وقت.

وهمست يولا لماجد : أسرع بركوب الهليكوبتر.. وسوف أتحكم في المكان أتوماتيكيا لينكشف السقف لك فيمكنك الهرب من هذا المكان.

ماجد : وأنت ؟.

ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتي يولا وقالت : إنني اشعر أن نهايتي قد حانت.. أسرع أنت بمغادرة المكان.. ودعني أصفي حسابي مع هؤلاء الأوغاد.

قفز ماجد بسرعة نحو الطائرة الهليكوبتر وأغلق أبوابها عليه وأدار محركاتها فهدرت مراوحها، ولكن وقبل أن يتحرك بها اندفع ضباط الموساد الثلاثة شاهرين أسلحتهم وأحاطوا بالطائرة من كل اتجاه.. وصاح الكولونيل في غضب حاد : أيها الشيطان، كان علينا أن نكتشف أنك من تسبب في كل ما حدث.. وكان من الواجب أن ننهي حياتك برصاصة في قلبك منذ أن سقطت أسيرا في أيدينا.. فمن الخطر بقاؤك حيا ولو كان يقوم بحراستك ألف رجل.

أدرك ماجد الشرك الذي سقط فيه.. وتنبه إلى أن سقف المكان بدأ ينفتح ببطء ولم يكن هناك شك في أن يولا

هي التي فعلت ذلك، وأن ضباط الموساد الثلاثة لم يكتشفوا وجودها في المكان حتى تلك اللحظة.

ولكن كان أي محاولة لمغادرة المكان بالهليكوبتر كفيلة بأن يطلق الأوغاد الثلاثة الرصاص على خزان الوقود في الطائرة فينسفوها بمن فيها.. فشعر ماجد كأنه في شرك لا نجاة منه !.

ولوح شارون بمسدسه في وجه ماجد صائحا : هيا غادر الطائرة أيها الثعلب.

ولكن ومن الخلف جاء صوت يقول : ليس قبل أن تغادروا الحياة أيها الأوغاد.

التفت الضباط الثلاثة إلى الخلف وقد أخذتهم المفاجأة..

كانت يولا واقفة على مسافة تحتمي خلف المدفع الأثري الضخم وقد بدا أنها تخطط لشيء ما.. وغمغم ديفيد في حقد : أيتها الشيطانة.. ألا تزال بك بقية من قوة ؟.

وأطلق ديفيد الرصاص نحو يولا ولكنه اصطدم بجسم المدفع وارتد إلى مكان بعيد في صوت حاد دون أن يصيبها بأذى.

وجاهدت يولا لتحتفظ بما تبقى من قوتها.. كانت تشعر أنها لا تكاد ترى من عينيها اللتين تحولتا إلى جمرتين من لهب.. وأن قلبها يوشك على التوقف، وأن ناراً هائلة اندلعت في رئتيها..

كانت تدرك أنها في النزع الأخير.. وأن المرحلة الأخيرة قبل موتها هي إصابتها بالشلل الذي باتت تشعر أنه يسري في جسدها.

وصاح ديفيد : استسلمي أيتها الذئبة.. لن تفيد مقاومتك في شيء.

وشاهد شارون القنبلة الموضوعة في فوهة المدفع فصاح : إنها قنبلة كيميائية.. هذه المجنونة ماذا تريد أن تفعل بنا ؟.

أشعلت يولا عود ثقاب بقوة هائلة وهي تصارع الشلل.. كانت تمارس جهدا خارقا لتتحكم في حركاتها قبل أن تسقط ميتة.. وصرخ الكولونيل في جنون : أسرعوا بقتل هذه المجنونة وإلا أنهت حياتنا جميعا.

وانطلق سيل من الرصاص صوب يولا من كل اتجاه.

وأصابتها رصاصتان في صدرها.. فترنحت وقد شلت حركتها تماما. ثم تهاوت فوق المدفع ميتة.

واندفع ضباط الموساد الثلاثة نحو الجثة المددة فوق المدفع.. ولكنهم وصلوا متأخرين..

فحتى بعد موت يولا.. لم تشأ روحها أن تغادر المكان قبل أن تتم انتقامها..

وجاءت سقطة يولا بحيث وقع عود الثقاب أمام فتيل المدفع فأشعله.

وصرخ ضباط الموساد الثلاثة مرتعبين وهم يشاهدون الفتيل يحترق بسرعة جهنمية. وأدرك ماجد ما سيحدث في اللحظة التالية، فارتفع بطائرته سريعا بعد أن انكشفت فوقها السماء الصافية.

ثم دوى انفجار القنبلة بعد أن ارتطمت بجدار المكان.

وتعالى صراخ وصياح ضباط الموساد المرتعبين.. واندفعوا في كل اتجاه محاولين الهرب، ولكن السحابة السوداء الكريهة التي تفجرت من القنبلة أحاطت بهم سريعا

فسقطوا في قلبها يتخبطون وهم يشعرون بآلام هائلة خبيثة.. وارتج المكان بشدة وعنف.. وبدأ انفجار قنابل أخرى في المكان.

ومن مكانه بأعلى شاهد ماجد الأرض تحته وهي تهتز.. والتل الصخري وهو يتهاوى ليدفن تحته بقايا المنجم والقنابل الجهنمية المختفية في قلبه.

تحول المكان إلى صحراء للجحيم كان من المستحيل أن يفلت منها أي أنسان.. ولم يكن هناك من شك في المصير الذي سيلاقيه ضباط الموساد الثلاثة حتى وإن نجوا من انهيار المنجم والمصنع فوق رؤوسهم.

وغمغم ماجد دون انفعال وهو يراقب المشهد الرهيب تحته : لقد لاقوا مصيراً يستحقونه.

وعلى مسافة شاهد بعض العاملين في المصنع ممن سارعوا بالهرب منه قبل انفجاره، وهم يجاهدون الصحراء اللاهبة، ودار حولهم بطائرته، فتصايحوا وهم يصرخون إليه ملوحين بأيديهم طالبين النجدة، فرمقهم بنظرة ساخرة وهو يقول : إنكم في حاجة إلى بعض العقاب أيها الأوغاد لكي

لا تشتركوا في مثل هذا العمل القذر ثانية.. وأعتقد ان بقاءكم في هذه الصحراء بضعة أيام هو عقاب كاف، قبل أن أبلغ أي إنسان للبحث عنكم وإنقاذكم.

واتجه بطائرته جهة الغرب.. صوب مدينة « سان فرانسيسكو » وهو يفكر ساخرا، في أن طائرات الموساد التي ستصل إلى نفس المكان بعد ساعات لتحصل على القنابل الجرثومية والكيميائية، ستجد مفاجأة قاسية في انتظارها.

فحيث يكون رجل المهام الصعبة.. تكون هناك المفاجآت القاسية للاعداء !.

العملية القادمة :

# الفريق الجهنمي

فريق يتكوّن من أعتى الإرهابيين والمرتزقة في العالم.. مهمته الوحيدة هي التخلص من رجال المخابرات العرب السابقين.

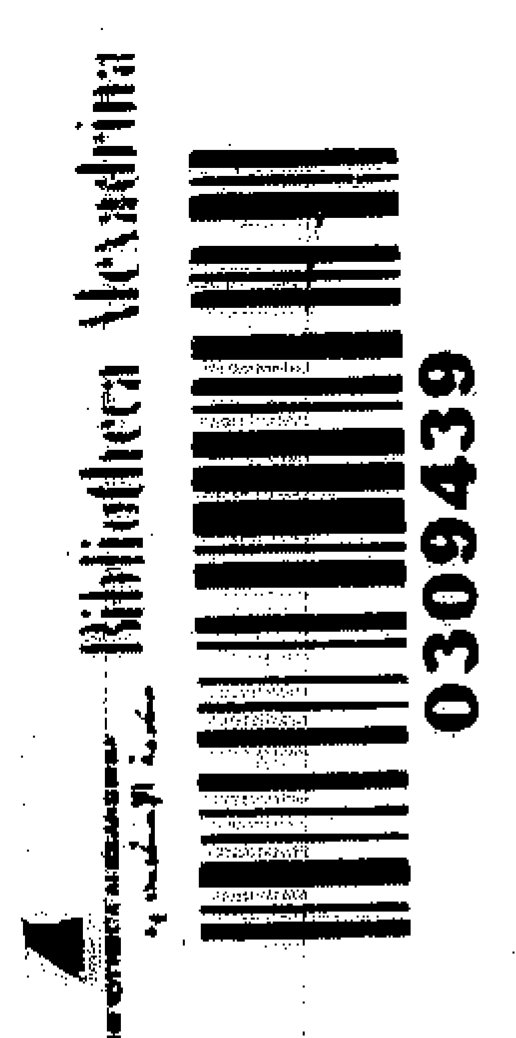
ولكن رجل المهام الصعبة يظهر في الصورة.. فهل ينجح في مواجهة الفريق الجهنمي.. وماذا ستكون نتيجة تلك المواجهة الدموية ؟.

## هذه العملية :

تـأليف : مَجـدي صَـابر

# صحراء الجحيم

مرة أخرى يدور الصراع بين ماجد صبري والموساد.. ولكن الصراع ينتقل إلى قلب الصحراء الأمريكية.. حيث تحولت هذه الأرض القاحلة إلى صحراء الجحيم ولكنه يسقط أسيراً.. فماذا ستفعل به الموساد وهو تـحت رحمتها ؟.







دار الجيل
بيروت